وزارة التـــــعليم الـــــعالي والبـــــحث العـــلمي
جامعة 08 مـــــــاي 1945
قالـــــــمة

M/909.539

كلـــــية الـــــعلوم الإنـــــسانية والاجـــتماعية
قسم التـــــاريخ والآثـــــار
التخصص : التاريخ العام

مذكـــــرة مقـدمـــة لـنيل شـهادة الماستـــر في التـــاريخ العام بعنوان :

الاسكيا محمد الكبير مؤسس مملكة سنغاي (1493-1528م)

إعداد الطالب :
عبد المالك بوقلسوس
إشراف الأستاذ :
الحواس غربي

لـــــجنة المـــناقشـــــة :

الأســـــــتاذ	الرتـــــــبة	الصـــــــفة	الجامـــــــعة
النوي بن مبروك	استاذ مساعد أ	رئيـــــسا	جامعة08ماي 1945م قالمة
الحواس غربي	استاذ مساعد أ	مـــــشرفا ومقررا	جامعة08ماي 1945م قالمة
عبد الكريم قرين	استاذ مساعد أ	عضوا مناقـــشا	جامعة08ماي 1945م قالمة

السـنة الجامعية : 2015/2014 م- 1435/1434هـ

15/1968

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعملوا فسيرى الله أعمالكم ورسوله والمؤمنون)

صدق الله العظيم.

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك.....ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك.....ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك.....ولا تطيب الجنة إلا برؤية الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة.....ونصح الأمة.....إلى نبي الرحمة ونور العالمين.....سيدنا محمد

– صلى الله عليه وسلم -

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.....إلى من علمني العطاء بدون انتظار.....إلى من أحمل اسمه بكل افتخار..... أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد و إلى الأبد..."**والدي العزيز**"

إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة.....صنعتها من أوراق الصبر.....وطرزتها في ظلام الدهر.....على سراج الأمل.....بلا فتور أو كلل.....رسالة تعلم العطاء كيف يكون العطاء... وتعلم الوفاء كيف يكون الوفاء.....إلى ملاكي في الحياة.....إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني.....إلى بسمة الحياة وسر الوجود...إلى من كان دعائها سر نجاحي...وحنانها بلسم جراحي...إلى أغلى الحبايب..."**أمي الحبيبة**"

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى أخواتي: **نبيلة و ياسمين.**

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي...إلى من تحلوا بالإخاء وامتازوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني كيف لا أضيعهم.....

صديقاتي:**نورة و سهيلة، ميساء و شهرة، خولة ومريم، خولة وسارة، رحمة وسناء، كريمة وسامية، وسام وحنان، وخاصة خاصة خميسة وزهية ، ريمة ، وسام .**

الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات ذكريات الأخوة البعيدة، إلى الذين أحببتهم وأحبوني أصدقائي:**إبراهيم، حكيم، حكيم، معاذ وحسام ، رضا ، شوقي ، صلاح ، صابر، زكرياء وهيثم،عامر، صلاح وأيمن.**

شكر وعرفان

الحمد لله الذي لولاه لما جرى قلم ولا تكلم لسان، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم ما تعاقب الليل والنهار أفصح الناس لسانا، وأوضحهم بيانا، أما بعد:

إلى أستاذي الفاضل: **(غربي الحواس)**.

تعجز الكلمات وتتوارى الحروف ويخجل القلم أن يقف مثل هذا الموقف فقد تخونه العبارات وتتشتت الجمل ويضيع المعنى ولا يصل الهدف ولكني أجتهد لكي أرد إليك بعض الذي أخذت منك فقد اعتددت على عطاءك، وعند الإجابة على مداد قلمك، فحروفي لا تليق بمقامك، ولا إيفاءك حقك، ولا الأخذ من وقتك.

ولكني أجد في نفسي أملا بأنك قد تمنحني بكرمك بضع دقائق لتستمع إلى كلامي الذي هو بمثابة نقطة في بحر من مشاعري، تجاهك وما أكتبه ليس إلا مما لمسته خلال تواجدك بيننا وأنا في صرحك الشامخ فقد كنت أبا بتوجيهاتك، ومرشدا بنصائحك، موجها نحو الطريق الصحيح بعباراتك، بصيرا برؤيتك، أخا حنونا لكلا من لجأ إليك، مخلصا وأمينا في عملك، مشجعا لطلابك، عطوفا على أبناءك وبناتك، فقد سخرت نفسك، وقسمت وقتك لمن أراد المعلومة أو النصيحة أو المساعدة، فأنت علما لي أفتخر بشموخك الصامت وعملك الدائم فلا تجد مني إلا النداء باسمك، وعدم الاستغناء عنك، فكم شجعت ومن معنويات رفعت، وضغوطات تحملت.

فماذا عساي أن أقول وكيف يمكنني مجاراة الكبار أمثالك؟ فالأوفياء أمثالك لن ينسوا على مدى الدهر لأنهم قل ما نجدهم في هذا الزمان فبأي لغة أشكرك، وبأي نثر اثني عليك، فقد عجزت كلماتي وضاعت مني الفصاحة فهل آتي لك بخطباء؟ أم أمثال المتنبي من الشعراء لأكيل لك الشكر والعرفان على صنيعك؟ فهذا شكري بعد شكر الله عز وجل على ذبذبة مقدارها الحب في الله ليستقبلها قلبك الصافي النقي على موجة أحبك الله الذي أحببتني فيه فقد كنت عاجزا عن الشكر ولكن استنهضتني همة قلمي للكتابة فكتب "عاجزا مقصرا متواري عنك".

وليس لي من همسة في الختام إلا أن أقول لك هذا جزء مما أحمله وأكنه لك في صدري والذكرى خالدة والحب باقي والدعاء لك في ظهر الغيب مستمر وأعذر قلما جف حبره باسم المودة والتقدير والاحترام.

ولن أوفيك حقك مهما كتبت ودمت عزا وفخرا لي.

المقدمة

قامت بالمنطقة الواقعة في الجنوب الغربي من الصحراء الكبرى المعروفة بالسودان الغربي، دول وممالك وكان لهذه الدول دور مهم في احتضان الإسلام ونشره بواسطة عدد كبير من رجال العلم والثقافة، كما كان لحكام هذه الممالك الذين اعتنقوا الإسلام دورا بارزا في إثراء الحياة الثقافية، السياسية والاقتصادية منذ القرون الأولى للهجرة.

كانت مملكة **سنغاي** آخر دولة في سلسلة هذه الدول التي ورثت منها الحضارة الإسلامية بجميع جوانبها، فكانت رمزا حقيقيا لتقدمها، وكان القرنان **التاسع والعاشر الهجريان** (**الخامس عشر والسادس عشر الميلاديان**) فترة ازدهار هذه الدولة دون منافس لها في المنطقة.

وقد عرفت مملكة **سنغاي** بحكامها البارزين وعلمائها المشهورين الذين تظافرت جهودهم بأخذ الإسلام دينا وعقيدة وبتطبيق الشريعة الإسلامية في حكم البلاد.

لقد اهتم أولئك الحكام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طوال مدة حكمهم بدءا بعهد "**سني علي**" الذي عمل على تحويل دولته الصغيرة إلى إمبراطورية منيعة ليأتي بعده "**أسكيا محمد الكبير**" الذي وصل بالمملكة إلى قمة ازدهارها وتقدمها ومجدها ورخائها من خلال فتوحاته التي زادت من اتساع هذه المملكة وأمتد نفوذها حتى بلغت المحيط الأطلسي غربا والطوارق شمالا والممالك الوثنية جنوبا إلى أن انهارت بعد الانقلاب عليه وعزله وتولي أبنائه الحكم من بعده وقد اتصفوا بالقسوة والأنانية والفجور وقاموا بتقتيل بعضهم البعض متناسين المجد الشامخ الذي بناه المؤسس الحقيقي لمملكة **سنغاي الاسكيا محمد**.

وانطلاقا من هذا وقع اهتمامي على الدراسات الإفريقية ومن ثم البحث في هذه المذكرة على مملكة **سنغاي** في عهد **الاسكيا محمد الكبير** (**1492-1591م**) أي دراسة هذه المملكة في فترة إعتلاء **الاسكيا محمد الكبير** الحكم إلى غاية نهايته وتولي أبنائه الحكم من بعده.

لم يكن اختياري للموضوع اعتباطيا، وإنما دفعتني إليه مجموعة من الأسباب والعوامل نذكر منها:

* ندرة الكتابات التاريخية والمعمقة حول وصول **الاسكيا محمد الكبير** للحكم وأهم أعماله من أجل تطوير مملكة **سنغاي**.

* دور الإسلام وانتشاره ومدى إسهامه في تطوير المجتمع السنغاوي من الخرافات والمظاهر الوثنية التي كانت سائدة فيه.

* معرفة السر من وراء وصول مملكة **سنغاي** إلى ذروة التطور والتقدم والازدهار وبالتحديد في عهد **الاسكيا محمد الكبير**.

لهذه الأسباب وغيرها وقع اختياري على بحث موضوع مملكة **سنغاي** في عهد**الاسكيا محمد الكبير** (**1492-1591م**)، وأملي أن تساهم هذه الدراسة في إضافات علمية جديدة لتاريخ وحضارة إفريقيا جنوب الصحراء.

وقد حاولت تقديم الموضوع بطريقة علمية أكاديمية صحيحة، إعتمدت في طرحه على المنهج التاريخي والآخر وصفي تحليلي، حيث يمكننا الأول من الوقوف على أهم الأحداث التاريخية خلال الفترة المذكورة، بينما يعيننا الثاني على وصف أهم الأحداث وتحليلها في محاولة للكشف عن ما ورائها، وقد حاولت التقيد بالموضوع زمانا ومكانا بإرفاق الاستنتاجات التاريخية بالأدلة والإثباتات، وإرجاع المعطيات إلى مصادرها وتهميشها وإبداء بعض الملاحظات حولها ما أمكن، أملا للوصول إلى أجوبة للكثير من الأسئلة لعل أهمها:

* متى تأسست هذه المملكة؟ ومن هم أشهر ملوكها؟

* متى دخلها الإسلام؟ وما هي المرحلة الحاسمة في تاريخ هذه المملكة؟

* ما دور"**سني علي**" في تطوير المملكة؟ وما هي أهم انجازاته؟

* كيف كانت الأوضاع حينما استلم "**الاسكيا محمد الكبير**" الحكم؟

* وكيف ساهمت إنجازاته الكبيرة في وصول المملكة إلى درجة كبيرة من التقدم والازدهار والرخاء الاقتصادي والحضاري التي تمتعت به في تلك الفترة؟

* إلى أي مدى ساهم سلاطين مملكة سنغاي الأسقيين في بداية اضمحلال المملكة؟

* و ما هي نتيجة اقتتالهم من أجل الوصول لسحكم؟

ولدراسة الموضوع دراسة موضوعية ومنهجية، كان لزاما علينا وضع خطة أولية، عمدت من خلالها إلى تقسيمه إلى: **مقدمة، تمهيد، ثلاث فصول، خاتمة ومجموعة من الملاحق.**

التمهيد: إعتبرناه بمثابة الأرضية الموضوعية التي ننطلق منها إلى مسرح الأحداث حيث نعطي فكرة عن ترتيب الإمبراطوريات والممالك لدى الباحثين، لننتقل إلى الحديث عن الموطن الأصلي للشعوب السودانية لنعرج فيه عن كيفية النطق بكلمة"**سنغاي**" ثم أصل شعب **سنغاي** والوطن الأول لهم وفي الأخير أعطينا لمحة عن **سنغاي** الوثنية.

الفصل الأول: خصصناه: **لمرحلة نشأة مملكة سنغاي:**

نتحدث فيه عن أصول أول أسرة ملكية **لسنغاي** وهي أسرة:"**ضياء**" وأول ملوك **سنغاي** وبداية المرحلة الحاسمة في تاريخ المملكة بعد اعتناق "**زاكسي**" الإسلام وتأرجح سيطرة **مالي** على **سنغاي** لننتقل إلى "**سني علي**" وتنظيماته الإدارية وفتوحاته لننتهي بالحديث عن نهايته والآراء التي قيلت حوله من طرف المؤرخين.

الفصل الثاني: خصصناه: **للاسكيا محمد الكبير ودوره في تطوير مملكة سنغاي:**

نتحدث فيه عن التسمية: "**بأسكيا**" والانتماء العرقي، وبعدها انتقلنا إلى الحياة السياسية في عهد "**الاسيكا محمد الكبير**" وشملت تنظيماته الإدارية في شتى الميادين ثم تحدثنا عن الجيش والتنظيمات التي أدخلها "**الاسكيا محمد**" عليه لنعرج الحديث عن القضاء في عهده وبعدها انتقلنا إلى الحياة الاقتصادية وشملت الزراعة والثروة الحيوانية كما تحدثنا عن الصناعة من خلال أهم المعادن وأهم الصناعات المنتشرة في عهد "**الاسيكا محمد الكبير**" لننتهي إلى الحديث عن الحياة الثقافية ودور "**الاسيكا محمد الكبير**" في انتشار نهضة ثقافية في القرنين **السادس عشر والسابع عشر الميلاديان).**

الفصل الثالث: يتضمن: **انجازات الاسكيا محمد الكبير ونهايته:**

تحدثت في هذا الفصل عن رحلة "**الاسكيا محمد الكبير**" إلى الحج وتلقبه (بأمير المؤمنين) لنعرج الحديث عن فتوحاته لدى عودته من الأراضي المقدسة وكانت من بينها فتح مملكة: **الموسي** وإقليم: **مالي** ومنطقة **آجور** وغيرها لننتهي بالحديث عن نهايته على يد إبنه الأكبر: "**موسى**" ونفيه إلى جزيرة مهجورة وهي بداية اضمحلال المجد العظيم الذي بناه "**الاسكيا محمد الكبير**" لمملكة سنغاي واهتمام أبنائه بالوصول إلى الحكم متناسين تأمين المملكة وهذا ما جعلها عرضة لغزو المراكشي.

وقد أنهيت البحث ككل بخلاصة عامة استعرضت فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وكذلك أدرجنا مجموعة من الخرائط التوضيحية التي تبين المملكة عند نشأتها إلى أن توسعت.

وأعقبتها بقائمة المصادر والمراجع، ثم الفهارس، واعتمدت لانجاز هذه الدراسة على مجموعة من المصادر الهامة نذكر منها:

1/المصادر:

* كتاب: **القفاش في أخبار البلدان و الجيوش وأكابر الناس**، المنسوب **لمحمود كعت**، وترجع أهميته باعتباره ملخصا لمعظم كتب التاريخ ومؤلفي السودان الغربي الذين سبقوه من آبائه وأجداده بالإضافة إلى بحثه في فترة الاسقيين.

* كتاب: **تاريخ السودان**، لمؤلفه **عبد الرحمان بن عبد الله السعدي**، وهو من أحسن الكتب التي تلقي الضوء على عهد الأساكي والأشراف معا والمقارنة بينهما. وقد أورد معلومات مهمة عن نهاية سنغاي وبداية حكم المغاربة في السودان الغربي.

ومجموعة من كتب التراجم أهمها:

*كتاب: **فتح الشكور لمعرفة أعيان علماء التكرور**، لمؤلفه**البرتلي الولاتي**، فقد افرد كتابه هذا لتراجم علماء التكرور حيث وصل عددهم إلى **مائتين وخمسة عشر عالما**، ويقع هذا الكتاب في مجلد واحد ويعتبر من المراجع المهمة في تراجم العلماء المالكية في بلاد السودان الغربي بعد كتاب التراجم: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** للعلامة: أحمد بابا التمبكتي.

وبعض المصادر في مجال الجغرافيا والرحلات:

* كتاب: **رحلة ابن بطوطة**، لمؤلفه: **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي** المعروف **بابن بطوطة**، وقد زودنا بمعلومات قيمة نتيجة ما قام به من رحلات علمية ووصوله إلى بلاد السودان ومكوثه مدة من الزمن هناك.

* كتاب: **وصف إفريقيا**، لمؤلفه: **الحسن بن محمد الوزان الفاسي** المعروف (**بليون الإفريقي**)، وقد استفدنا منه من خلال رحلاته المتكررة إلى بلاد السودان الغربي أثناء فترة حكم الأساكي في **سنغاي**.

المصادر الأخرى :

وفي انتظارما يسعفنا به المستقبل من امكانيات العثور على مصادر قريبة من أحداث موضوع المذكرة ، فإنني حاولت جهدي الاستفادة من المصادر الأخرى وهي متنوعة بين المصادر التاريخية و الجغرافية و التي أفادتنا كثيرا في التعريف بالمناطق المذكورة و تطورها التاريخي ، وهي مصادر عربية مثلت اللبنة الأولى للدراسات الافريقية جنوب الصحراء ، و لايمكن لأي مؤرخ في هذا التخصص الاستغناء عن خدماتها ومن أهمها كتاب **المسالك و الممالك** لمؤلفه **أبو عبيد الله البكيري (1014-1094م)** و **المسالك و الممالك** لمؤلفه **أبي اسحاق الاصطرخي** (القرن 10) و **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** لمؤلفه **الادريسي** (ت 1160م) و **الروض المعطار في خبر الأقطار** لمؤلفه **محمد عبد المنعم الحميري** و **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و**

العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر في جزءه السابع الخاص بملوك السودان لمؤلفه **عبد الرحمان بن خلدون** (ت 1349م) .

2/المراجع:

وبجانب هذه المصادر الأساسية هناك مراجع أساسية حديثة باللغة العربية والأجنبية تناولت الموضوع في بضع صفحات، وتكمن قيمتها العلمية في كونها من الكتب التي ألفها مختصون في الدراسات الإفريقية جنوب الصحراء.

فقد إستفدت من كتاب: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591)** لمؤلفه **عبد القادر زيادية** الذي تناول تاريخ مملكة سنغاي من بداية حكم الأسقيين إلى غاية سقوطها وقد أفادني كثيرا فيما يتعلق بملوك سنغاي والجوانب الحضارية بها وهي نفس الأمور التي تطرق إليها في كتابه الآخر بعنوان: **الحضارة العربية والتأثيرالأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء.**

***كتاب: مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير (1493-1528)** لجميلة **محمد التكيتك**، بالإضافة إلى كتاب **تاريخ إفريقيا السوداء من الأمس إلى الغد**، لمؤلفه: **جوزيف كي زيربو**، وكتاب: **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء** لمؤلفه: **جي دي فيج** دون أن ننسى أهمية كتاب: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من القرن15م إلى القرن18م** وقد أفادني في الجانب الاقتصادي وكتاب: **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا**، لمؤلفه: **عبد الفتاح الغنيمي**، وموسوعة: **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن)** ، لمؤلفها: **أحمد شلبي**، كما أن هناك بعض المجلات أهمها: **مجلة دراسات إفريقية:"انتشار اللغة العربية في بلاد غربي إفريقيا عبر التاريخ" لعبد القيوم عبد الحليم حسن، ومجلة قراءات إفريقية:"مملكة سنغاي" لحسين سيد عبد الله مراد.**

ومن أهم المراجع الأجنبية نذكر ما يلي:

*Devidson.B،old africo.

* Henri barth، voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale.

* trimingham J.S، A History of Islam in Weste Africa.

* Elias-N-Saad،Social history of timbuktu : the role of muslim Scholars and notables 1400-1900.

ومن الصعوبات التي واجهتني طيلة انجاز هذا البحث المتواضع أهمها قلة المصادر التي تخدم الانجاز الموضوعي، خاصة أن معظمها خارج الوطن، لكن الحمد لله الذي لا يصعب مع دعائه شيء.

وختاما أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث، وفي مقدمتهم الأستاذ: **غربي الحواس** وإلى كل أساتذة التخصص.

وأنني أرجو من المولى سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع عرضا تاريخيا يتناسب وأهمية ما قصدت إليه، وأن تكون هذه المحاولة قد ألمت بأغلب جوانبه، وأن تفتح أفاقا جديدة للبحث في التاريخ السوداني.

المدخل

إن الترتيب المعتاد لدى الدارسين و الباحثين في تاريخ غرب إفريقيا الإسلامي و القومي على حد سواء قديما و حديثا هو عد إمبراطورية غانة الأقدم تليها مالي ثم سنغاي ، فيعتقد أن الأخيرة متأخرة عنها نشأة ، وتطورا و شهرة ، حتى استقر أنها وريثتها لا يكاد يشذ عن هذا الخط إلا قلة قليلة جدا ، كاليعقوبي [1].

وهناك من يرى أن سنغاي أقدم من غانة نشأة أما كإمبراطورية فيرى أن غانة أقدم [2] ، وتارة يجعل إمبراطورية سنغاي هي أقدم ممكلة ظهرت في غرب إفريقيا على الإطلاق [3] .

يقول شلبي عن مالي : مالي إسلامية منذ نشأتها على أنقاض غانة في القرن الثالث عشر ميلادي [4]. وهو غير مسلم به فكثير من المصادر القديمة تتحدث عن مالي قبل دخول الإسلام فيها ، فإن كانت أصول مملكتها تكاد تكون مجهولة قبل القرن الحادي عشر ميلادي فلا أقل في بداية تاريخها من القرون الميلادية الأولى ، لأن بعض الأسر كانت تسيطر على إمارات صغيرة متجاورة ، معروفة المدن ، من تلك الأسر تراوري و كوناي وكمارا وكيتا [5].

يقول د.شلبي : غانة أقدم دولة عرفت في غربي إفريقية ، وبدأ ظهورها في القرن الأول ميلادي[6] . وإن قال: (لعل سنغاي من أطول الدول عمرا فقد بدأت بذورها في القرون الميلادية الأولى ، وعاصرت غانة و إمبراطورية مالي ، وانتهت غانة ومالي و بقيت سنغاي حتى عام 1003 هـ - 1994 م [7].

1_أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، **تاريخ اليعقوبي** ، 3 أجزاء ، أرصاد بيروت ، ج1، ص 193 ، 194 .

2_ أبو بكر إسماعيل ميغا ، **الحركة العلمية و الثقافية الإصلاحية في السودان الغربي** ، ط 1 ، 1417 هـ 1997 م ، ص 10 ، 23 ، 274 .

3_ أبو بكر إسماعيل ميغا ، المرجع السابق ، ص 9 .

4_ أحمد شلبي ، **موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية** (الإسلام و الدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن)، 10 أجزاء ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1، 1973م ، ج6 ، ص 101 .

5_ جوزيف كي زيربو ، **تاريخ إفريقيا السوداء من أمس إلى غد** ، 2 مجلدات ، ترجمة : يوسف لشهب هشام، من منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، 1994 م، م1 ، ص 205 .

6_أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 102،103 .

7_ نفسه ، ص 121 .

يقول طرخان: (كانت غانة أقدم الإمبراطوريات التي قامت بغربي إفريقيا ثم تلتها مالي و من بعدها سنغاي، ويقول : (تاريخ إمبراطورية غانة هو أولى حلقات التاريخ القومي لغربي إفريقيا ، فهي أول إمبراطورية قامت بالسودان الغربي ، ولعلها أول تجربة و أقدم ما عرف من تجارب الحكم الوطني الناجح بتلك البلاد) ثم يقول : (تعتبر إمبراطورية غانة أقدم إمبراطورية إفريقية التي قامت بالسودان الغربي) [1].

ويقول عن سنغاي : أقام شعب سنغاي الإفريقي أعظم إمبراطورية إسلامية أواخر العصور الوسطى (القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي) فاقت في سعتها و امتداد أطرافها إمبراطوريتي غانة و مالي الإسلاميتين حتى قيل : أن أحد طرفيها لا يعلم شيئا عن الطرف الأخر هو في حرب أو في سلام ، فهذا إنما ينطبق على المملكة الرابعة لإمبراطورية سنغاي .

أما أسباب تأخر سنغاي نشأة و تطورا و شهرة فيرجع إلى وجوه منها : تجاهل تأريخ ما قبل الإسلام لأغراض كثيرة أهمها الزعم بأن غرب إفريقيا بل إفريقيا عامة لم تعرف أي نوع من الحضارة قبل الإسلام أو قبل الاحتلال الأوروبي و التأريخ لقيام الممالك الإسلامية ما بين القرن الرابع و الحادي عشر الهجريين ، وتجاهل التأريخ الإسلامي قبل القرن الرابع الهجري ، بسبب عدم الدقة العلمية إما في الخلط في تاريخ غرب إفريقيا بين قبول الناس أفرادا للإسلام وبين اعتناق الملوك له ، ثم الخلط بينهما من جهة وبين قيام الحركات الإصلاحية الداخلية و الخارجية [2].أو لنقص استقصاء المعلومات من مصادر عدة و موازنتها أو لظهور مصادر جديدة لم تعرف قبل تحتوي على معلومات قيمة ، ويرجع السبب إلى التركيز في التأريخ لإمبراطورية سنغاي الإسلامية لمملكتها الرابعة التي أقامها "آل أسكيا" و التي تشتت شعبها في العصر الحديث بين عدة دول أكبر قبائلها في مالي و النيجر و بنين بوركينافاسو و غانة وكون بعض الأحيان الحديثة من قبائلها لا يربطها بالجماعات الأولى لغة لتشتتهم في عدد من الدول كغانة و نيجيريا و غينيا وكوناكري و ساحل العاج ... الخ

1_إبراهيم طرخان ، **امبرطورية غانة الإسلامية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1390هـ - 1970 م ، ص 3 ، 13 ، 15 .

2_ جوزيف كي زيربو ، المرجع السابق ، ص 9 ، 10 .

الموطن الأصلي للشعوب السودانية :

تجدر الإشارة إلى أن هناك آراء تعود بالشعوب التي أقامت الإمبراطوريات الكبرى في غرب إفريقيا أو تعود على الأقل بأصول أبرز الأسر المالكة فيها كالسنغاي-أو السونكي - و الماندغ- و الهوسا و الفلاتة و اليوربا إلى أصول عربية من اليمن أو الحجاز أو المغرب [1].وكذلك البرناويون و الكانميون . في حين تعد المصادر العربية الأولى مملكة كانم أول ممالك السودان الذين غربوا بعد عبور النيل وهم الزغاوة[2] و بعدهما المسعودي مملكتين للسودان [3] . وكذلك ابن خلدون في حين يذكر البكري الزغاوة فقط [4] .

يقول أحد الباحثين "إن ادعاء النسبة إلى أحد الأصول الشرقية (العربية) بعد ظهور الإسلام أمر مألوف عند الكثير من شعوب السودان الغربي و الأوسط و هي الشعوب التي اشتهرت في التاريخ و كونت لها إمبراطوريات واسعة كل هذه الأساطير غير مبنية على حقائق علمية "[5]. في حين يقول ثان : (معظم شعوب إفريقيا تشير إلى الشمال أو الشرق عندما تسأل عن أصولها و مع ذلك فإنه منذ انتشار الإسلام أصبح الشرق و اليمن المواطن التي تنتسب إليها العائلات الحاكمة ، خاصة لإظهار تفوقها [6]. ويقول آخر :(ومهما يكن من أمر فإن إدعاء النسب العربي ظاهرة في تاريخ الأسر الحاكمة أو الأفراد في الشرق و الغرب الإسلاميين، ومنه الصحيح و غيره) .

أما عن سنغاي فإن المؤرخين السونغيين محمود كعت و السعدي يستعملان في كتابيهما "تاريخ الفتاش و تاريخ السودان " كلمتي المشرق wainahonay و المغرب waunaka of ay استعمالات أخرى غير

1_آدم الآلوري ، **الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفولاني** ، ط 3 ، 1398 هـ - 1978 م ، ص 29 ، 32 .

2_ أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 193 .

3_ أبي الحسن علي ابن الحسين بن علي المسعودي ، **مروج الذهب و معادن الجوهر** ، جزئين ، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1425 هـ - 2005 م ، ج 1 ، ص 329 .

4_ أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، **المسالك و الممالك** ، تحقيق : محمد جابر الحيني ، مطبوعات وزارة الثقافة و الارشاد القومي ، القاهرة ، 1351 هـ - 1961 م ، ص 242 .

5_ أبو بكر إسماعيل ميغا ، المرجع السابق ، ص 11 .

6_ جوزيف كي زيربو ، المرجع السابق ، ص 118 .

مشرق إفريقيا و غربها و غير المشرق و المغرب العربيين ، انطلاقا من استعماليهما في لغة سنغاي و سياق حديثهما وهو عندهما الشرقي و الغربي لإمبراطورية سنغاي .

المقصود بالشرق الذي ترجع إليه أصول شعوب غرب إفريقيا هو شرق إفريقيا و بالتحديد شرق النيل في أراضي إثيوبيا حاليا الأصل الأول لكل شعوب الجنس الأسود فمنه انتشروا و عرفوا بأسماء كثيرة مثل (كوش) عند الرومان ، و(إثيوبيا) عند الإغريق و(الحبشة و السودان) عند العرب [1] .و لإجماع المؤرخين على أن السكان الأوائل لكل شمال افريقيا منذ العصر الحجري القديم و سكان الصحراء الأكثر قدما كانوا حتى العصر التاريخي في غالبيتهم سودا . أخذوا يتجهون إلى الجنوب بحثا عن أراضي أكثر مياها فاستقرت المجموعات السودانية الكبيرة حول وادي النيل، و نهر النيجر و نهر السنغال و سواحل المحيط الأطلسي و غيرها، وكونوا عدة ممالك متعاقبة[2].و الحقيقة العلمية التي أكدتها البحوث و الدراسات الجغرافية و الجيولوجية و غيرها هي أن المناطق الصحراوية الإفريقية حديثة التكوين ، و كان فيها و في غيرها حضارات افريقية من صنع الشعوب السودانية المعاصرة للحضارات المصرية و غيرها [3] .

يقول الاصطخري (توفي 346 هـ–957 م) عن بلدان السودان أنها : (عريضة إلا أنها قفرة قشفة جدا...و يقال أنه ليس في أقاليم السودان من الحبشة و النوبة ، و البجة و غيرهم، إقليم هو أوسع منه ، ويمتدون إلى قرب المحيط مما يلي الجنوب ، ومما يلي الشمال على مفازة ينتهي إلى مفاوز مصر من وراء الواحات ثم على مفاوز بينها و بين أرض النوبة ثم على مفاوز بينها و بين أرض الزنج) [4] .

1_ حوزيف حوان ، **الإسلام في ممالك و امبراطوريات إفريقيا السوداء** ، ترجمة مختار السويفي ،دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، ط 1 ، 1404 هـ – 1984 م ، ص 38 .

2_ دنيس بولين ، **الحضارات الإفريقية**، ترجمة علي شاهين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1974 م،ص 13 ، 26 ، 27 .

3_ حوزيف حوان ، المرجع السابق ، ص 29 ، 30 ، 34 .

4_ أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، المصدر السابق ، ص 34 ، 35 .

ويقول المسعودي : (ت 464 هـــ) : (إن أرض الحبشة و سائر السودان مسيرة سبع سنين ، و أن أرض مصر كلها جزء واحد من ستين جزءا من أرض السودان ، و تتصل أقاصي السودان بآخر بلاد ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن من أرض المغرب و هي بلاد تلمسان و تهرت و بلاد فاس [1] .

ويقول زكرياء القزويني (682 هـــ - 1283 م) عن بلاد السودان : (هي بلاد كثيرة ، وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر ، وجنوبها إلى البراري و شرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط [2] .

وقد ورد ما يدل على ذلك النزوح و الاستقرار و يؤكده اليعقوبي (ت 282 هـــ - 895 م) [3]، قوله وهو يتحدث عن أولاد كوش بن حام بن نوح ، وان منهم الحبشة و السودان : إنهم لما عبروا النيل افترقوا فرقتين فقصدت فرقة منهم التيمن بين المشرق و المغرب وهم النوبة و البجة و الحبشة ، والزنج ، وقصدت فرقة المغرب أي غرب إفريقيا وهم زغاوة ، و الحس و القاقو و المرويون ، ومرندة و الكوكو (سنغاي) وغانة [4] وورد مثل ذلك عند أبي عبيد البكري [5].

كيفية النطق بكلمة سنغاي :

لابد في البداية من وقفة لغوية في كيفية النطق بكلمة سنغاي ، ذلك أن الاستعمال الشائع في الكتب الحديثة أوقع كثيرا من الباحثين في خطأ علمي يتمثل في قول بعضهم أن سنغاي من صنهاجة البربرية انطلاقا من اتفاقهما في بعض الحروف ومن الزعم بأن ملوك مملكتها الثانية من صنهاجة سيأتي عن اليعقوبي أن مملكة صنهاجة كانت بين عدة ممالك خاضعة لمملكة سنغاي .

1_ أبي الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي : المصدر السابق ، ص 127 .

2_ زكرياء بن محمد القزويني ، **آثار البلاد و أخبار العباد** ، دار الطباعه و النشر ، بيروت ، 1969 م ، ص 24 .

3_ أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 191 .

4_ نفسه ، ص 193 ، 194 .

5_ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، **المسالك و الممالك** ، جزئين ، تحقيق: جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ،بيروت، 2005م ، ج1 ، ص 242 .

كما أن النطق الصحيح للفظ سنغاي يرد ذلك ، وهو أن تنطق بسين مضمومة بحركة (0) اللاتينية ، بعدها حرف مركب من نون و غين مخففين مع إطباق مؤخرة اللسان بالتجويف العلوي ، ينتج عنه غنة تخرج من الخيشوم، لمد ذلك لحرف المركب منها بفتحة قصيرة وهو حرف موجود فيعد من كلمات هذه اللغة .

تنوعت كتابات المؤرخين القدامى من أهلها و غيرها لهذا الحرف تقريبا نه ككعت و السعدي و احمد بابا بين سغي و سنغاي ، وصنغي و الجدير بالذكر أن محمود كعت صاحب الفتاش ذكر لتشكيل هذه الكلمة نحوا مما سبق يقول : (قبيلة سغي سين وغين مضمومتين ممالتين بعدهما ياء ساكنة)[1].ولا يوجد لهذا الحرف المركب مقابل لا في العربية و لا في اللاتينية – الفرنسية و الانجليزية – ولذلك اضطر الساعون إلى كتابة اللغات الإفريقية بالحرف اللاتيني أو الحرف العربي المنمط إلى استحداث حرف يناسب الحرف و النطق المذكور سابقا وهو في الأول g. [2] أما في الحرف العربي المنمط لكتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآني المقترح من خبراء المنظمة الإسلامية للتربية و الثقافية و العلوم –اسيسكو– فنجد حرف الغين منقوطا بنقطتين (غ)مقابل الحرف اللاتيني السابق للدلالة على الحرف المذكورسابقا في عدة لغات افريقية كالسنغاوية ، و الفولانية ، و السونينكية و الصوصية و الولوفية .[3]

1_ محمود كعت ، **التاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس** ، تحقيق : هواجس باريس ، 1964 م ، ص 25 .

2_ **دليل كتابة لغة سنغاي بالحروف اللاتيني Guide transpiration et de lecture du sofay** ، وزارة التربية الأساسية في مالي ، بماكو، طبع D.N.A.F.L.A ، 1995 م ، ص 6 .

3_ مصطفى محمد علي ، **الإسلام اليوم** ، جدول الحروف المفردة ضمن بحث : كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآني المنمط ، منشورات اسيسكو ، 1983 م ، ص 10 .

أصل شعب سنغاي و الوطن الأول لهم :

هذا الشعب وجد في الأصل حول الأنهر لذلك نجدهم يلجأون حيث نزلوا إلى شواطئها و الجزر ، ويمثل مع شعب سوننكي (سراكولي أو ماركا) أهم الشعوب الأوائل في غرب إفريقيا ومنها تفرعت أغلب الشعوب الحالية [1] ماعدا الفلاتة ومن هاجر إلى المنطقة بعد أي بعد الميلاد أو قبله بقليل [2].

وتفيد المصادر التاريخية الأولى و بعض المتأخرة التي تناولت جزءا من رحلة سنغاي أنهم عاشوا قبل عبور النيل إلى الغرب – و في جزيرة فيلاي أو فيلة (l'ike de philae) جنوب أسوان عند الشلال الخامس ، حيث كانت المنطقة موطن للجماعات النوبية و الأجناس السودانية الأخرى قبل التشتت بعد عبور النهر .

وهذه الجزيرة مليئة الآن بالهياكل و المعابد و التحف الأثرية، وكان وجودها في الجزيرة سببا في عدم بناء السد العالي بين أسوان ووادي حلفا.

كما أن هذه الجزيرة تعد إحدى الجزر المشهورة كالهيسة و بيجا ، وعوارض الواقعة جنوب سد أسوان وتقسم مجرى النهر إلى قسمين أو أكثر [3].

كان لسنغاي أربع ممالك تزدهر تارة و تسقط تارة أخرى فسيطر غيرها على مناطقها برغم ذلك كانت أقدمها و أطولها عمرا ، يقول أحمد شلبي : (دولة سنغاي من أطول الدول عمرا فقد بدأت بذورها "الكوكو" في القرون الميلادية الأولى و عاصرت إمبراطورية غانة و إمبراطورية مالي ، و انتهت غانة و مالي و بقيت سنغاي حتى سنة 1594 م .[4]

1_ الشيخ الأمين عوض الله ، **العلاقات بين المغرب الأقصى و السودان الغربي في عهد السلطتين مالي و سنغي** ، دار المجمع العلمي : جدة ، ط1، 1979 م ، ص 42 .

2_ دنيس بولهم ، المرجع السابق ، ص 85 .

3_ محمد عوض محمد ،**نهر النيل** ، مكتبة النهضة المصرية ، ط5 ، 1962 م ، ص 125 .

4_ أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 246 .

ذكر اليعقوبي الممالك التي كونها السودان في الغرب الافريقي بداية من غرب نهر النيل من بينها مملكة سنغاي (سماها كوكو) وغانة فقال : (ثم مملكة الكوكو وهي أعظم ممالك السودان ، وأجلها قدرا و أعظمها أمرا ، وكل الممالك تعطي لملكها الطاعة و الكوكو اسم المدينة و عدة ممالك يعطونه الطاعة ويقرون له بالرئاسة على أنهم ملوك بلدانهم فمنهم مملكة المرو ، وهي مملكة واسعة ، وللملك مدينة يقال لها: الحيا ،ومملكة مردنة[1]، ومملكة الهربر و مملكة صنهاجة ، ومملكة ذكر ومملكة الزيانير ومملكة آرورو[2]ومملكة ثقاروت[3] ، فهذه كلها تنسب إلى مملكة الكوكو.

أما عن موقع سنغاي فتجاورهم من الشمال جماعات من الطوراق[4] وهم خليط من سكان الصحراء القدامى و البربر وبقايا المرابطين و تجاور الصنغي من الغرب و الجنوب جماعات شتى من أهل السودان أهمها الماندنجي أصحاب غانة ، و الجورمان و الموسي الذين يسميهم مؤرخو العرب الموشي وهم يسكنون إقليمي باتينجا و جورمان و الكعارته و المسينا تمتد بلاد صنغي شرقا حتى تتصل بالبرنو والكانم في إقليم تشاد [5].

لمحة عن سنغاي الوثنية :

كان شعب سنغاي في مملكته الأولى وثنيا تكون في بداية تاريخه حول نهر النيجر من ثلاث مجموعات متناحرة هي : سركو (sorko) أي صيادو السمك ، وغوي (gouay) وهم القناصون و الفري (alfarai) هم المزارعون ، ويطلق عليهم أيضا غاب غوي كي (gabi goy kai) أي الأيدي العاملة أو المتهنون للمهن التي تحتاج قوة بدنية ، أقتصر هذا التركيب إلى "غا"، "ب " كلمتين "غا" تعني الجسد و "ب"

1_ أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 191 .

2_ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيزبن محمد البكري ، المصدر السابق ، ص 373 .

3_ المصدر نفسه ، ص 239،238 .

4_ الطوارق : الملثمين الذين يقطنون الصحراء الكبرى و يمتد توزيعهم الجغرافي من منطقة توات حتى تيمكتو ومن فزان إلى زندر الواقعة على بعد 300 ميل تقريبا غرب بحيرة تشاد لغتهم "التماجغ" أنظر : جي دي فيج ، **تاريخ غرب إفريقيا** ، ترجمة : تقديم بتعليق السيد يوسف مصر ، دار المعارف الاسكندرية ، ط1، 1982 م ، ص 62 .

5_حسين مؤنس :**الإسلام الفاتح** ، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ، القاهرة ، 1980 م ، ص 195 .

بمعنى الأسود، في لهجة تنبكتوالسنغية لتمييز بين ذوي البشرة السوداء من السكان الأصليين و بين المجموعة المغربية .

وقد تبادلت هذه الجماعات الثلاثة السيادة في كوكيا العاصمة الأولى قبل الميلاد وكانت مشهورة و مزدهرة في 300 م ، توحدت بعد أن انضمت هجرة أخرى من شرق إفريقيا إلى دندي (شمال ووسط بنين حاليا) وكانت حاضرتها مدينة جوغو ، و لا يبعد أن يكون من هذه المدينة أيضا سكان جزيرة زوغو أو زغو الغربية على نهر النيجر التي تذكرها بعض المصادر العربية الأولى في مدن غانة ، ولا يعبر الناس إليها إلا في القوارب [1].

انتقل سلطان سنغاي إلى كوكيا بعد توحد الجماعات الثلاث وقتل السمكة الآلهة التي كانوا يعبدونها، في الجزيرة التي كان يقدم لها فيها القرابين و لا تزال باسمها تورو (بضمتين ممالتينo) غونغو (torogongo) وينطق أيضا توراغونغو (toragoungo) وتقع جنوب مدينة غلو ، إليها ينتسب اسكيا محمد ، فيقال توري (tori) إذ فيها ولد و عاش قبل الانتقال إلى العاصمة .

وليست دندي المنطقة التاريخية لسكان شعب سنغاي التي ارتبطت به بدليل أن مدينة كبي (kebi) إحدى المدن القديمة بشمال نيجيريا سميت باسم أول من سكنها وكان من أهل سنغاي وزوجته من أهل كاشنة[2].

وهي أسبق بلاد الهوسا كما يقول أحمد بابا التنبكتي– إلى ميدان الحضارة و العمدان– لوقوعها على طريق القوافل بين غاو و تمبكتو و بين برنو ومصر ، صارت برنو وزكزك بلادا إسلامية في القرن الخامس الهجري بعدما انتشر الإسلام فيها طوعا بالتدرج قبل ذلك بزمن بلا غزو و لا استيلاء [3] ، ولهذا لا يبدو من

1_ أبو عبيد الله البكري ، **المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب** ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 177 .

2_ آدم الالوري ، **موجز تاريخ نيجيريا** ، دار مكتبة الحياة، بيروت ، 1995 م ، ص 77 .

3_ أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 286 .

الدقة القول بأن الإسلام لم يدخل ولاية كاشنة إلا في القرن الخامس عشر ميلادي و بفضل بعثة تبشيرية من مصر [1].

كما أن شعب سنغاي أيضا أسس مملكة "كاتوكا" وهي كاشنة القديمة و زنفرة و بونسة في شمال نيجيريا و ويزغونغو [2].

و أنشأ هذا الشعب في طريق هجرته من الشرق الإفريقي عدة ممالك أو دولا في السودان الأوسط ، فقد توصل "إبراهيم صالح يونس" إلى أن عاصمة برنو الأولى أي قبل ميدغري–كوكو– [3] ومن الأدلة على ذلك أنه نشأت في برنو مدينة عظيمة إسمها–كوكاوا– ومعناها بلغة الهوسا الكوكيين ، نسبة إلى أهل كوكيا و تقلبت عاصمة مملكة برنو وكانم بين كانم و كوكاوا [4].

وقد اتخذ الشيخ محمد الأمين الكانمي (ت 1835) مدينة كوكاوا مقرا له عام 1814م و أخذ يراسل عثمان بن فودي الذي رأى فيه صورة الفقيه المتواضع و العالم الورع و ذلك قبل أن يسير الكانمي نفسه سيرته في الجمع بين العلم و الجهاد و إقامة السلطة ، و الدفاع عن برنو و كانم ، ومن سلالته الأسر الحاكمة لبرنو الملقبين بالشيخ إلى اليوم [5].

ونزحت أفراد و جماعات متجهة إلى الغرب فاستقرت في دندي و أغدس في جمهورية النيجر حاليا ، ثم في كوكيا ثم في غاو ، و أنشأوا ممالك كان آخرها و أوسعها إمبراطورية سنغاي الإسلامية : التي شملت كل غرب إفريقيا الحالية ، أما التي قبل هذه فقد اشتهرت في المصادر العربية الأولى بـــ "كوكو" الذي كان يطلق على المملكة، وعلى عاصمتها ، وعلى الشعب نفسه [6].

1_ أحمد شلبي : المرجع السابق ، ص 132 ، 281 .

2_ آدم الآلوري، **الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفولاني** ، ص 24.

3_ جوزيف كي زيربو ، المرجع السابق ، ص 64 .

4_ آدم الالوري ، **الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفولاني** ، ص 64 .

5_ نفسه .

6_ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، **معجم البلدان** ، 5 مجلدات ، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1990 م، المجلد 4، ص 562 .

وأشهر زعماء المملكة السنغية الأولى فاران ماكا بوتو (faran maka boto) الذي أسس مدينة غاو عام 690 ميلادي لتصبح العاصمة بدل كوكيا ، لأن موقعها يتوسط المملكة وعلى مقربة من طريق القوافل الرئيسية المتجهة شرقا و شمالا ، و لم تكن هي نفسها كوكو أو كوكيا و لا أول عاصمة للمملكة و ليس زاكسي هو الذي أنشأها عام 1010 م [1].

اتسعت المملكة و أتسع نفوذ شعبها (أكبر القبائل الإفريقية التي كانت حول حوض النيجر ، ولا سيما عند تنيته شمالا ، وفي القرن السابع ميلادي كانت مساكنها تمتد حوالي 1450 كيلومتر [2]، انتهت هذه المملكة في القرن الأول الهجري .

و ليس صحيحا أنها عاشت وثنية حتى سنة 400 هـ -1009 م [3] ، يقول د.مهدي رزق الله :إنه وجد في عهد مبكر يرجع إلى سنة 81 هـ -770 م وكان أول ملك مسلم يسمى زاكسي .

لقد كان دخول الإسلام في سنغاي في وقت مبكر في النصف الأول من القرن الأول الهجري في الوقت نفسه الذي دخل فيه مصر يقول د.السر سيد أحمد العراقي : (المعروف أن الإسلام قد بدأ ينتشر في بلاد السودان الغربي منذ حوالي منتصف القرن السابع ميلادي ، أي بعد فتح مصر و شمالي افريقية)[4] ويقول د.عبد الفتاح الغنيمي : (و الإسلام في غرب إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى قدم قدم الفتح الإسلامي لمصر و أيضا الدعوة الإسلامية كذلك)[5].

1_ جوزيف جوان ، المرجع السابق ، ص 81 .

2_ عبد الفتاح الغنيمي ، **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا** ، مكتبة نهضة الشروق ، جامعة القاهرة ، 1985 م ، ص 106 .

3_ شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم** ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1996 م، ص 92.

4_ عبد القيوم عبد الحليم الحسن ، "انتشار اللغة العربية في بلاد غرب إفريقيا عبر التاريخ" **مجلة دراسات افريقية**، مضبعة دراسات افريقية ، العدد الأول ، أفريل ، 1985 م ، ص 104 .

5_ عبد الفتاح الغنيمي : المرجع السابق ، ص 182 .

يقول ميغا :"كان لسنغاي أربع ممالك تزدهر تارة و تسقط أخرى فسيطر غيرها على مناطقها ، وبرغم ذلك كانت أقدمها و أطولها عمرا "[1] .

ويقول " عرف هذا الشعب أربع ممالك ، بل الأولى و الثانية ممالك ، و الأخريان إمبراطوريتان"[2] ، وتتبع الآراء التي طرحت حول البدايات و المراحل التاريخية لتلك الدولة و الممالك التي تعاقبت على حكمها و التي يرجعها البعض إلى عدة قرون قبل الميلاد ، كالقرن السابع و الرابع ، بل مد البعض تاريخها إلى الألف الرابع قبل الميلاد [3].

و تروي المصادر بأن أصول ملوكها يرجع إلى اليمن جاؤوا إلى السودان الغربي ، ربما عبر هضبة الحبشة بعد عبورهم البحر الأحمر ، زمن فرعون و موسى عليه السلام [4] .

1_إبن فضل الله شهاب الدين العمري،**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، 27 جزء ، تحقيق :كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 2010 م ،ج4،ص 11 .

2_ نفسه ،ص 12 .

3_ عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي ، **تاريخ السودان** ، تحقيق :هوجاس ، المدرسة الباريسية للتدريس الألسنة الشرقية ، 1981 م ، ص 4.

4_نفسه .

الفصل الأول

نشأة مملكة سنـــــــــــــــــغاي

1-عائلة ضياء.

أ-أصل الأسرة وأول ملوكها.

ب- تأرجح سيطرة مالي على سنغاي.

2- الملك سني علي.

أ- التعريف بالملك سني علي.

ب- تنظيماته الإداريه وفتوحاته.

3- نهاية الملك سني علي.

أ- آراء المؤرخين حول شخصيته.

ب- وفاته.

1 – عائلة ضياء :

أ– أصل الأسرة و أول ملوكها :

تشير بعض المصادر إلى أن دولة سنغاي تأسست في القرن السابع الميلادي من قبل قبائل سنغاي التي كانت تقيم على الضفة اليسرى لنهر النيجر ، حيث بدأت دولة صغيرة حين قيامها شأنها شأن الدول و الممالك التي سبقتها في المنطقة "مالي" و "غانة" وقد دخلها الإسلام في القرن الرابع الهجري / الحادي عشر ميلادي ، عندما دخل مالكها في الإسلام حينذاك طواعية[1]على يد المرابطين على المرجح و عبر النشاط التجاري [2].

إتخذ الملوك من أول أسرة ملكية لسنغاي لقب "زا" [3]و يقال "ضياء"[4] و التي اختلف في أصولها فيعتقد البعض أنها من منطقة طرابلس ، و آخرون يعتقدون أنها استمرار للأسرة الحاكمة ذات الأصول اليمنية و التي استمر حكمها حتى 735 هـ– 1335م وكانت عاصمتهم كوكيا على نهر النيجر الأدنى ثم انتقلت إلى غاو

يؤكد السعدي أن "زا الأيمن"أول ملوك سنغاي جاء من اليمن[5] ففي سنة 700 م هاجرت قبائل لمطة من البربر إلى مناطق الفلاحين من قبائل السنغاي و كان قائد المهاجمين اسمه "زا الأيمن" استطاع هذا أن يهاجم الصيادين في المكان الذي سيكون به و طردهم بعيدا إلى الشمال ، و قد خرج الفلاحون بهذا البطل الذي أنقذهم و جعلوه قائدهم ، و أصبح أول ملك في سلسلة ملوكهم ، و هكذا أصبح لملوك السنغاي من البربر البيض و ظلوا كذلك فترة طويلة حتى انتقل الحكم إلى السود[6]

1_عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 04 .

2_ عبد الحليم ، رجب محمد ، **تاريخ المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء** ، شركة السفير ، القاهرة ، 1996م، ص 37 .

3_هارون المهدي ميغا ، "تعريف دلالات الألقاب و الوقوع في أخطاء تاريخية غرب إفريقيا "، **مجلة دراسات افريقية**، العدد الخامس و الأربعين ، افريل ، 1985 م، ص 54 .

4_ هارون المهدي ميغا ، المرجع نفسه ، ص 44 .

5_عبد القادر زبادية ، **الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989م، ص 20

6_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 4.

يذكر السعدي عن ملوك سنغاي أن أول من تملك فيها من الملوك هو " زا الايمن " ثم زازكي ، ثم زانكي ثم زاكي ثم زاكوثم زا علي ثم زاي كمي ثم زابيا ثم زاكري ثم زايم كروي و ثم دنك كيبع ، ثم زاكوكري ثم زكنكن هؤلاء أربعة عشرة ملكا ماتوا جميعا في الجاهلية و ما آمن واحد منهم بالله و رسوله صلى الله عليه و سلم الذي أسلم منهم زاكسي يقال له في كلامهم مسلم دم معناه أسلم طوعا بلا إكراه رحمه الله تعالى سنة أربعمائة للهجري

ثم زاكسي داربي ، ثم زاهن كزونك دم ثم زابي كي كيم ثم زانتناسني ثم زابير فلك رحمه الله تعالى ثم زياسبي ، ثم زادور ثم زازنك بار ، ثم زابدا ثم سن علي كلن ، ... سليمان نار ... ثم سن إبراهيم كيبي — ثم سن عثمان كنف ، ثم سن باركي أنكي ، ثم سن محمد داع ، سن محمد كوكيا ، ثم سن محمد فار ، ثم سن كربيف ثم سن مارفي كل جم ، ثم سن مازاركن ، ثم سن ماراوندن ثم سن سليمان دام ثم سني علي ، ثم بارا اسمه بكرداع ، ثم أسقيا محمد[1].

و أورد عبد الرحمان السعدي معلومات عن خروج " زا الأيمن " من اليمن بمعية إخوته ، و أنهم وصلوا أرض مدينة كوكيا ، بأرض سفي ، و أنهم تعرضوا إلى حالة الفقر ، و البؤس و شظف العيش ، لدرجة أن، أجسادهم لا يغطيها إلا طرف من الجلد ، و أنهم نزلوا عند أهالي المدينة الذين سألوهم عن مواطنهم ، و أن "زا" أجابهم بأنهم من اليمن ، وأن أهل المدينة بقوا لا يقولون إلا "زا الأيمن" عوضا عن اليمن، لثقل نطقها على لسانهم[2].

و عندما استقر "زا الأيمن" بأرض كوكيا وجدهم على الوثنية ، يعبدون سمكة تطفو فوق ماء النهر[3]،في أنفها حلقة ، وتخرج لهم في أوقات معينة فيجتمعون حولها للعبادة فتأمرهم و تنهاهم ، فيتفرقون على ذلك و يمتثلون لأوامرها و يجتنبون نواهيها .

1_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 3 .

2_نفسه ، ص 4 .

3_يقصد به نهر النيجر .

وكان "زا" يحضر معهم ، فأيقن أنهم على ضلالة ، فقتل السمكة ، ومنذ ذلك التاريخ بايعوه على أن يكون ملكا عليهم [1].

وقد أسلم أكثر من سبعة عشر ملكا ، منذ القرن الأول الهجري ، كلهم ملقبون بزا ، ويغلب على كتب التاريخ للمنطقة القول أن أول من أسلم منهم هو الخامس عشر و اسمه "زاكسي" [2] ويبدو أنه غير صحيح لأن الملك السادس من هؤلاء يسمى "زا علي" و يبعد أن يكون اسمه إسلاميا من غير أن يكون مسلما ، و بخاصة أن دعوى أنهم من اليمن غير مسلم به و يرد هذا اللقب حتى في لغة سنغاي .

فلعل الصحيح أن بعض هؤلاء قد إعتنق الإسلام من القرن الأول الهجري لكن لم يحظ الأمر بكتابته كما حظي أمر " زاكسي "و المهم أن "زا علي" هذا كان ملكا في أوائل القرن الثاني الهجري حوالي سنة 135 هـ أما سبب التوهم أن زاكسي هو أول من أسلم ، وأن من عداه ماتوا على الوثنية،فهو توهم أن هؤلاء جميعا ماتوا قبل البعثة النبوية،وقد يرجع القول به إلى الجهد الكبير الذي بذله"زاكسي"في توطيد الإسلام في مملكة سنغاي إذ أصدر مرسوما ملكيا عام 400 هـ يمنع غير المسلم من تولي الملك في سنغاي،وقد التزم بعده بالقرار،وقاموا بنشر الإسلام،بالدعوة و الجهاد حتى سقوط المملكة الأخيرة لهذه الإمبراطورية عام1003 هـ-1594 م [3].

وقد قام "زاكسي" بتأسيس أول عاصمة لمملكة في مدينة "غاو" و التي اشتهرت بعدة مسميات ، أهمها "جاو" و "كوكو" و "غاو" و"كاغ" و تقع هذه المدينة عند بداية الثنية الثانية لنهر النيجر وهو يبعد عنها بأكثر من ستة كيلومترات [4].

1_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 4 .

2_ عصمت عبد اللطيف دندش ، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (1038-1721 م)**،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1988 م ،ص 127 .

3_Devidson13 ,**old africo,** rediscovered , london , 1959, p97 .

4_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 45 .

يتفق ما تقدم عن "زاكسي" وما ذكره البكري (ت487 هـ) من أن سنغاي وهم أهل كوكو لا يملكون أحدا عليهم من غير المسلمين ، وإذ ولي الملك دفع له خاتم ، وسيف ومصحف [1].

وقد عاصر اليعقوبي (ت282-895م) هذه المملكة الثانية لسنغاي ووصفها على أيامه إذ يقول وهو يذكر ممالك السودان الغربي:(... ثم مملكة الكوكو وهي أعظم ممالك السودان و أجلها قدرا و أعظمها أمرا ، وكل الممالك تعطي لملكها الطاعة ، و الكوكو إسم المدينة ودون هذه عدة ممالك يعطونه الطاعة و يقرون له بالرئاسة على أنهم ملوك بلدانهم) كما أنه وصف مملكة غانة و عظمها ، وما تحتها من ملوك لكنه لم يصفها بعظمة مملكة سنغاي ، ومالها من السيطرة و السعة و العظمة و تبعية غيرها لها [2].

أما الإدريسي (ت560 هـ) فيقول في عاصمة هذه المملكة و مدينة كوكو مدينة مشهورة الذكر من بلاد السودان ، كبيرة ، ثم إن ملك كوكو ، ملك قائم بذاته : خاطب لنفسه، وله حشم كبير ، ودخله كبير ، وقواد و أجناد ، و زي كامل وحلية حسنة ، وهم يركبون الخيل و الجمال ، وهم بأس و قهر لمن جاورهم من الأمم المحيطة بأرضهم[3].

سقطت هذه المملكة بعد سقوط غانة بحوالي خمسة و ثمانين سنة أو تزيد،فقد سقطت غانة عام 638 هـ-1240م ، وكان ساكورة الذي ملك مالي بين عامين (684-700 هـ-1285-1300م) قد غزاها و ضمها إلى مالي لكنها استقلت ثم سقطت على يد منسا موسى الذي سيطر عليها لعشر سنوات بين عامي 1325-1335م [4].

1_أبو عبيد الله البكري ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب** ، ص 183 .

2_أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 193،194 .

3_محمد عبد المنعم الحميري ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**(معجم جغرافي)، تحقيق : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2 ، 1984م ، ص 502 .

4_ قيل أن الذي غزاها هو سغمانجا ، أحد قواد منسا موسى ، أنظر : عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 7 .

ب- تأرجح سيطرة مالي على سنغاي :

خضعت سنغاي لدولة مالي أسسها سندياتا الذي كان يسمى ماري دياتا أو ماري جاطة[1]، في فترة حكم منسا علي (670-685 هـ/1255-1272م) [2] ، وقد عرف منسا علي بالتقوى و الصلاح ، وزار مصر في طريقه للحج عام 658 هـ-1259م زمن الظاهر بيبرس (658-678 هـ/1260-1277م) .

ومن أبرز أعماله بسط نفوذ مالي على دولة سنغاي الناشئة ، غير أن العاصمة "غاو" قد امتنعت على مالي و لضمان خضوع سنغاي لمالي أخذ منسا علي رهائن هما علي كولن و سلمان نار أخوه (إبنا ملك صنغاي زاياسبي) [3].

بعد وفاة منسا علي مرت دولة مالي بفترة من الاضطراب السياسي ، دامت زهاء عقدين و انتهت بإستيلاء ساكورة (zakora) على الحكم وهو من موالي الأسرة الحاكمة و يعد من أعظم حكام دولة مالي ، حيث تمكن في فترة حكمه (684-700 هـ/1285-1300م) من استرجاع هيبة الدولة و استولى على العاصمة "غاو" التي امتنعت على أسلافه [4].

ثم خرجت سنغاي مرة أخرى عن طاعة دولة مالي ، بعد أن خضعت من قبل مرتين في عهد منسا علي و ساكورة ، وهذا ما جعل منسا موسى (712-738 هـ/1312-1337م) يقوم بإخضاعها من جديد، وكان ذلك عقب عودته من رحلة الحج عام 725 هـ/1325م ، ونجح في الاستيلاء على عاصمة سنغاي مدينة "غاو" و استعاد الرهائن و إحكام الرقابة عليهما[5] .

---

1 إبراهيم طرخان ، **دولة مالي الإسلامية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1973 م ، ص 39،44 .

2_منسا : لقب يعني ملك

3_ عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق ، ص 6،8 .

4_ عبد الرحمان ابن خلدون ، **العبر و ديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، 7أجزاء ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1961م : ج 6 ، ص 414 .

5_ يلاحظ أن بعض المراجع قد خلطت بين إستيلاء مالي على سنغاي في عهد منسا علي و بين الاستيلاء عليها في فترة منسا موسى ، واعتبرت أن علي كولن و سلمان نار هما من رهائن منسا موسى ، أنظر : ابراهيم طرخان ، **دولة مالي الاسلامية** ، ص 106.

وانتظمت سنغاي في دفع الجزية لمالي الأمر الذي جعل عبد الرحمان السعدي يعتبر أن الملك "منسا موسى" هو أول من ملك سنغاي، وفي ذلك يقول:" هو أول من ملك سنغي من سلاطين مالي...ودخل أهل سنغي في طاعته بعد جوازه إلى الحج"[1].

بوفاة "منسا موسى" عام 738 هـ/1337م، وحدوث اضطرابات بالمملكة تنفست سنغاي الصعداء، وأخذت تشق عصا الطاعة على سلاطين مالي، بل تجرأت على مهاجمة الحدود الشرقية والسيطرة عليها، الأمر الذي أجبر "ماري جاطة" وزير الملك المالي " موسى الثاني" عام776-789 هـ/1374-1387 م، على تجريد حملة عسكرية لإسقاط "جاو"، إلا أن الحملة باءت بالفشل، ولم تحقق أغراضها، ومنذ ذلك التاريخ، تخلصت سنغاي نهائيا من سيطرة مالي[2]

2 – الملك سني علي :

تمكن الرهينة السنغاية علي كولن ، بعد تخلصه هو و أخوه من الأسر ، من تأسيس مملكة في سنغاي عام (735 هـ/1335م) ، متخذا لقبا جديدا وهو "سني" [3]وقد استمر خلفاؤه في الحكم و التوسع على حساب ممتلكات مالي التي دب فيها الضعف و الانحلال ، وتوسع السني"سليمان دام" على حساب ممتلكات مالي ، بل دخل عاصمتها وقام بتخريبها .

و تعد أسرة "سني" هي الأسرة الثانية التي حكمت سنغاي بعد أسرة "زا الأيمن" [4]، وقد حكم من أسرة سني ثمانية عشر أميرا منهم : علي كولن- سليمان نار – إبراهيم كاباي – عثمان كانافا– باري كينا – محمد

1 - عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 7.

2 - Levtzion، **the early States of the western sndan to 1500 history of west africa**،ed ajayi J.F.A، **vol I**، great britain، 1967، p137.

3ـسني : بمعنى خليفة السلطان أنظر: محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 43 .

4ـنيان ج . ت ، **تاريخ إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر** ، تاريخ إفريقيا العام ، 8 مجلدات ، منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة ، باريس ، المجلد الرابع ، 1988م ، ص 203 .

دع- محمد كوينجيا- محمد فاري -كاربيفو-مارفي كول - ماري هاي- ماردانو- سليمان دام- علي بير - باري دع [1].

ومن أهم حكام هذه الأسرة سني علي (869-898 هـ/1464-1498م) الذي يعد الأشهر من ملوك سنغاي .

أ- التعريف بالملك سني علي :

هو سني علي بن سليمان دام ، ينتسب إلى أسرة ضياء التي نزحت من طرابلس الغرب ، و استقرت في تلك الأماكن ، وهو أب لأبن يدعى أبو بكر داعو ، وعدد من البنات [2].

تربى سني علي في بيت أخواله ، في بلدة فار ، بعد أن فارق والده أمه ، وقد اهتمت به أمه و أخواله ، و رجوا فيه الخير ، فكانت له شخصية مستقلة منذ نعومة أظافره ، تعلم الفروسية وفنون الحرب و ظهرت شخصيته القيادية منذ صباه ، وتفوق على أقرانه وهذا ليس غريبا عنه لأنه من بيت توارث الحكم، وله وزنه في المجتمع السوداني .

تولى سني علي أمر البلاد عام 896هـ-1464م [3] ،عقب وفاة والده وكانت أول أعماله بعد توليه الحكم التخلص من خصومه ، ثم اتجه نحو البلاد ، وما كانت تعانيه من عدم التخطيط المحكم ، والقدرة على القيادة ، فانتزعها من مملكة مالي الإسلامية ، وأخذ يعمل منذ أن استلم أمرها ، على تكوينها و الصعود بها إلى مصاف الإمبراطوريات المتقدمة و المترامية الأطراف و تحويلها من دولة صغيرة قابعة تحت سيطرة الآخرين إلى إمبراطورية عظيمة الاتساع، تسود منطقة شاسعة من غرب إفريقيا .

1_عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 21 .

2_عبد القادر زبادية ، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493 – 1591 م)** ، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، بدون تاريخ ، ص26 .

3_عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 65 .

يقول د.الغنيمي عن هذه المملكة الثالثة لإمبراطورية سنغاي، وسماها بسنغاي الإمبراطورية الإسلامية:"ولقدكان عام 735هـ-1335م عاما حاسما في تاريخ سنغاي إذ كان هذا بداية لظهور إمبراطورية إسلامية قوية و عظيمة الشأن في القارة الإفريقية،بل هذه الإمبراطورية الوحيدة في السودان الغربي ، إذ كان هذا العام بداية هدم دولة مالي بزعامة سني علي كولن و أخيه سليمان نار [1] ،وفي عهد سني علي الكبير(1464-1492م)الذي عد أول إمبراطورية لها شملت هذه المملكة معظم غرب إفريقيا من المحيط غربا ، وإمارات الهوسا شرقا ، ووسط الصحراء شمالا ، و بلاد الموسى جنوبا [2] ، واستمرت حتى عام 1492 م ، فدام حكمها أكثر من قرن ونصف (حوالي 157 سنة) .

ب- تنظيماته الإدارية وفتوحاته :

ما إن تولى سني علي مقاليد الأمور ، أخذ على عاتقه توسيع رقعة بلاده بتكوين جيش قوي ، من مختلف شرائح المجتمع السوداني ، وأمر عليه قوادا من ذوي الكفاءة العالية في القيادة ، كان على رأسهم إبنه أبو بكرداغو ، وإبن خالته أبو بكر التوري (أسكيا الحاج محمد) ، كما كان من بين قواده المختار محمد ابن نض [3].

ومن بين التنظيمات التي اتخذها سني علي لبناء هيكلة إمبراطوريته الناشئة إنشاء محكمة كان يحكم فيها عن الخارجين عن طاعته ، وقد حكم فيها بالفعل على عدد من أهل بلدة "باغرم" بالقتل [4].

1_عبد الفتاح الغنيمي ، المرجع السابق ، ص 111 .

2_ أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 262 .

3_عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 72،71،70 .

4_ الهادي مبروك الدالي ، **التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ط1، 1998م ،ص 100 .

ومن بين الدواوين التي أنشأها بيت المال الذي جعل عليه أمينا و حارسا ، مهمتهما المحافظة عليه ، وكان الأمين يدعى الخطيب عمر ، أما القضاء فقلد أموره للقاضي حبيب [1] ، وأما وظيفة الكاتب و القارئ فأسندها إلى إبراهيم الخضر الذي كانت مهمته قراءة الرسائل الواردة من فاس و الرد عليها [2] .

بدأ سني علي بتنفيذ خطته السياسية عن طريق فتح جنى [3] .

و أورد عبد الرحمان السعدي نقلا عن " الذيل " لأحمد بابا أن سني علي دخل مدينة جنى ،واستولى عليها و أقام بها سنة و شهرا [4].

و أورد رأي آخر عن سقوط جنى مفاده أن حصار جنى ، إستمر سبع سنين و سبعة أشهر و سبعة أيام و أورد في موضع آخر أن سني علي حاصر المدينة أربع سنين ، فما نال من أهلها نيلا[5].

وفي موضع آخر قال : "ورأيت في خط بعض المعتبرين من الطلبة أن سني علي أقام بجنى عاما واحد و شهرا واحدا ، و لم يبين أنه من هذه المرة ، أو من مرة أخرى"[6] .

و أورد كعت بأن سني علي خرج لمحاربة (جنكي) بمدينة جنى فوصل إلى قرية (شبطي) وقبل وصوله إلى جنى ، تقابل مع (كرن) أحد أتباع جنكي ، وكان النصر حليف سني علي ، وقد واصل سني علي في تجاه خصمه جنكي ، وعند وصوله بلدة (بكونا) اعترضه (تنكي) أحد أتباع جنكي بجيش جرار غير أن سني علي إنتصر عليه ، ووصل إلى جنى ، وتقابل مع حاكم المدينة جنكى ،وكان حاكمها في بداية الأمر لا يقيم أهمية كبيرة لسني علي ، ولكن بعدما تبينت له خطورته ،جمع له جيشا كبيرا ، وعزز تحصينات مدينته ، ثم تقاتلا ستة أشهر .

1_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 73 .

2_نفسه ، ص 68 .

3_ جنى : تقع في الجنوب الغربي لمدينة تمبكتو بحوالي 600 كم أنظر :

Henri barth,**voyages et decouvertes dans l'afrique septentrionale et central** ,vol I,1860,p5 .

4_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ص 64 .

5_ نفسه ، ص 15 .

6_نفسه .

وكان النصر حليفا لسني علي لقوة آلياته و ضخامة إمكاناته ، إذ بلغ عدد سفنه أربعمائة ، ودخل سني علي قصر السلطان ، ولكنه لم يرقه ، فانتقل إلى دار لجنكي بالقرب من الجامع الكبير [1].

لقد واصل الملك سني علي فتوحاته لتوسيع رقعة إمبراطوريته ، ففتح جنج وير ، وأرض صنهاجة ، وتونو و كان أميرهم في تلك الفترة الملكة (بيكن كاب) [2].

ودخل تنبكتو عام 873 هـ— 1468م ما بين رابع و خامس الفرد ، أي بعد توليه بأربع أوخمس سنوات ، وسيطر عليها و على الجبال كلها ، باستثناء "دم" التي لم تدن له إضافة إلى ذلك فتح أراضي كنت ، و اتجه صوب أرض (برك) فلم يستطيع دخولها ، كما استولى على قبيلة سنقير من قبائل الفلان ، وسبا رجالهم و نسائهم ، وكانت آخر غزواته غزوة (كرم) ، وحارب فيها الزغرانيين ، و الفلانيين ، ودفع فيها حياته[3] .

كما استطاع تحرير سنغاي من سيادة الماندنجو ، ووسع رقعة البلاد [4] .

وكان من نتائج الحملات العسكرية التي أرسلها سني علي لسحق كل المعارضين لطموحاته من الوثنيين الذين يقطنون الصنغاي أن لقي إحتراما كبيرا من جانب طبقات المناندى ومن جانب التجار الذين ازدهرت تجارتهم في ظل إمبراطورية مالي ، وكان من هؤلاء التجار الجماعات الإسلامية المثقفة و المحبة لجمع الثروة ، و التي كانت تقطن المدن الرئيسية [5].

1_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 52 .
2_ احادي ميروك الداني : المرجع السابق ، ص 104 .
3_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ،ص 71 .
4_ نفسه : ص 64 .
5_ حي دي فيج : المرجع السابق ، ص 64 .

3- نهاية سني علي :

أ- آراء المؤرخين حول شخصيته:

لقد بذل سني علي دور كبير من أجل تأسيس مملكة سنغاي الإسلامية إلا أنه كان مكروها من قبل شعب السودان الغربي لقسوته و شراسته [1].

حيث كان سني علي شديدا في إسلامه ، وكان شديدا على مسلمي تمبكتو لأنهم أظهروا بعض الفتور في تأييده ضد الطوارق ، وكان الحاكم المسلم يتمتع بشرعية كبيرة من جميع رعاياه سواء المسلمين أو غير المسلمين بغض النظر أنهم من أهل البلاد أو الرافدين عليها طالما يعتنقون الإسلام [2] .

وقد حدث صدام قوي بين علماء مدينة تمبكتو وسني علي الذي كان مخلصا للديانة التقليدية الوثنية لسنغاي و سعى إلى عمل توازن بين الإسلام و الوثنية فقد كان مسلما لكنه لم يحسن إسلامه ، و لم يهجر يوما التقاليد الوثنية لسنغاي .

و صفه المؤرخ عبد الرحمان السعدي بقوله : "كان ذا قوة عظيمة و بنية جسيمة ظالما فاسقا ، متعديا ، متسلطا ، سفاكا للدماء ، قتل من الخلق مالا يحصيه إلا الله تعالى و تسلط على العلماء و الصالحين بالقتل و الاهانة و الإذلال"[3].

لهذه التصرفات و السلوكيات جعله العلماء في عداد الوثنين [4].

1_ جميلة محمد التكينك ، **مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير (1493-1528م)** ، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية ، ليبيا ، 1998م ، ص 45 .

2_ كامل محمد الصاوي ، **تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2008م ، ص 66 .

3_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 64 .

4_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 44 .

كان سني علي مسلما لكنه لم يكن متحمسا للدين و لا شديد الاكتراث بشعائره ، وهناك بعض الأقاويل تفيد أنه من الخوارج [1].

فقد عارضه العلماء و الشيوخ و اتهموه بضعف الإيمان فتآمروا عليه وورد بذبح عدد كبير منهم ، فكرهته الطبقة المستنيرة [2] .

في الحقيقة أن سني علي كان يغلب عليه طابع البداوة ، و لم يكن متفقها في الدين ، كما أنه لم يعرف الاستقرار ، و لم تكن له عاصمة معينة ، بل كان دائما غازيا متنقلا بجيوشه من معركة إلى معركة [3].

لذا كان همه الأكبر ألا ينازعه أحد في السلطان ، و لايكون هناك ولاء لشخص آخر سواه ، ولذلك خشي من علماء تمبكتو و من الطوارق أن يهددوا نفوذه باسم الدين الأمر الذي جعله يتحرش بهم و يعاملهم بقسوة [4].

ووصف محمد عبد الكريم المغيلي سني علي بقوله : "إن سني علي وجميع أعوانه و أتباعه و أنصاره ، لا شك من أهم أظلم الظالمين الفاسقين ، الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض ، فجهاد الأمير أسكيا فيهم ، وأخذ السلطنة من أيديهم من أفضل الجهاد و أهمه " [5].

ومهما قيل عن تصرفات سني علي المتشددة و القوية،فإن ما ذكر حول التشكيك في إسلامه يحتاج إلى إعادة النظر،لأنه لم يثبت أحد من المشككين بالدليل القاطع صحة ذلك ، وبالعكس فإن عبد الرحمان السعدي ، أفاد بميل سني علي لبعض العلماء و خاصة المأمون بن عم قاضي تنبكت حبيب [6] ، إضافة إلى ذلك أرسل إلى علماء تنبكت جواري في شكل هدايا ، بعد غزوه لقبيلة فولاي الوثنية[7] .

1_ trimingham j. s , **a history of islam in west africa** , oxford university press ,london, 1967 , p 94 .

2_ نعيم قداح ،**إفريقيا الغربية في ظل الإسلام** ، مراجعة : عمر الحكيم ، مكتبة أطلس ، دمشق ، 1960م ، ص 69 .

3_ أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 262 .

4_trimingham j. s , op.cit , p94 .

5_ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي** ، تحقيق : عبد القادر زيادية ، الجزائر العاصمة ، دون تاريخ ، ص 40 .

6_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 66 .

7_ نفسه ، ص 67 .

كما خصص سني علي مساحات ؛ لأداة الصلاة في شهر رمضان المبارك [1] ، إضافة إلى ذلك هناك مزاعم أخرى لعدد من مؤرخي السودان الغربي حول شخصية سني علي ، منها التي أوردها محمود كعت في قوله :"وهو سلطان جبار قاسي القلب يأمر بإلقاء الطفل في المهراس ، ويأمر أمه أن تدقه و تدقه الأم وهو حي ويطعم للخيول... وهو ينطق الشهادة ".[2]

أما المغيلي فيقول :"أن سني علي ينطق الشهادتين ، ويصلي على الرسول صلى الله عليه و سلم ويصوم رمضان، ويتصدق على الفقراء عند المساجد" [3] .

كان سني علي محاربا عظيما صمد أمام عدد كبير من الأعداء الطامعين في بلاده لكنه كان أهوج في طبية وتردد ، وفي هذا المجال كان يأمر بقتل إنسان ولو كان أعز الناس عنده بلا سبب و لا موجب ثم يندم على بعضهم ...و إذا كان المأمور بالقتل ممن سيندم عليه "إدخره أتباع سني علي" و أحفظوه ومتى أظهر الندامة قالوا له قد حفظناه لك و لم يمت فيفرح ساعتئذ[4] .

وممن قام بذلك وزير كان له عظيم الشأن مسلم قوي الإيمان واسع الثقافة و العقل عادل و شفوق وكانت له سيطرة واسعة على أمور البلاد و اسمه محمد أبو بكر و عرف أيضا باسم محمد التوري من قبيلة السوننكي[5].

وقد درس هذا الوزير طباع الملك فكان يكمل نقصه و يسد ثغرات خلقه ، فكان الملك يأمر أحد أتباعه أن يقتل عقب غضبه عليه فيتظاهر الوزير بالاستجابة إليه ، لكنه كان يخفي المغضوب عليه ريثما تهدأ ثورة

1_ elias-N-saad , **social history of timbuktu : the role of muslim scholars and notables** 1400-1900 , Cambridge , 1983 , p 11 .

2_محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 43 .

3_ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، المصدر السابق ، ص 36 .

4_عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 67،68 .

5_السوننكي : هي أحد فروع قبيلة الماندنغ الزنجية و التي تعتبر أكبر قبائل غرب إفريقيا و أكثرها انتشارا و يعتبر السوننكي الحجر الأساس في مملكة غانة ، أنظر : محمد فاضل علي باري ،سعيد إبراهيم كريدية ،**المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة** ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 2007 م ،ص 115 .

الملك و يعود كعادته لو أنه لم يقتله و حينئذ يظهر الوزير و يذكر للملك أنه احتفظ به حبيسا فإن غير الملك رأيه فيه أخرجه و إذا استمر الملك على سخطه نفذ أمر الملك ، وكان الملك يفرح لذلك [1].

وهذا ما مكن لمحمد أبو بكر في نفوس الناس [2] .

قال عنه شلبي :" كانت لسني علي فتوحات و انتصارات كثيرة ، كما كان له نشاط إداري ممتاز"[3].

أما الحسن الوزان فقد امتدحه قائلا :"سني علي كان رجلا عظيما"[4].

إستمر حكم سني علي حوالي ثماني وعشرون سنة ، تمكن خلالها أن يحول دولته الصغيرة إلى إمبراطورية منيعة تسود منطقة واسعة في غربي إفريقيا ، ولو لا ما اتصف به من الأخلاق الحازمة و الشدة و الحق لما استطاع أن يحقق أماله العريضة و مهما كانت أخطاؤه فمما لاشك فيه أنه كان حاكما عظيما[5].

ب – وفاته :

توفي سني علي عام 1492 م ، حين كان عائدا من أحد غزواته حيث انطلق عليه سيل في الطريق فأهلكه فشق أولاده بطنه و أخرجوا أحشاؤه و ملؤوها عسلا [6]، بعد رجوعه من موقعة كرم بعدما حارب الزغرانيين و الفولانيين ، و بالتحديد في موضع يسمى "كنى"[7] .

1_ أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 260 .

2_ نفسه .

3_ نفسه ، ص 263 .

4_الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي) ، **وصف إفريقيا** ، جزئين ، ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1983م، ج2،ص 162 .

5_ عبد الرحمان زكي ، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية** ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر و التوزيع ، القاهرة ،1962 م ، ص137.

6_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 71 .

7_كنى : مدينة تقع اليوم ضمن نطاق جمهورية النيجر ، وتقع إلى الشمال الشرقي من العاصمة نيامي ، وتبعد عنها حوالي أربعمائة و خمسين كيلومتر ، أنظر : الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 105 .

و أورد كعت معلومات عن وفاته ، تخالف الرواية السابقة ، مفادها أن سني علي مات في بلدة "قن" من بلد الحجر ، بداء "الفجاة" ، وعندما تحقق جنده من موته ، دفنوه هناك ، و لم يعلم أحد من أهالي تلك البلدة بموته [1].

وقد اختلف عدد من المؤرخين في تاريخ وفاته ؛ فمنهم من قال أن موته كان في شهر المحرم ، فاتح السنة الثامنة و التسعين بعد ثمانمائة 898 هـ/1492م[2]، ومنهم من قال أن موته كان سنة 899هـ /1493م[3]، بعد أن مكث في الحكم سبعا و عشرين سنة و أربعة أشهر و خمسة عشرا يوما [4] .

بعد وفاة سني علي قام الأمراء وقادة الجيش بتولية إبنه أبي بكر الملقب بسني بار على عرش المملكة عام 898هـ/1490م و لم يرق هذا الاختيار أحد القادة البارزين ،وهو القائد محمد بن أبي بكر الذي كان يرغب في ولاية عرش سنغاي ،لذلك خرج هذا القائد على "سني بار" بعد شهور قليلة من ولايته لعرش سنغاي ، متذرعا بضعف إسلام هذا الملك و دعاه إلى تصحيح عقيدته [5].

إنتهز أسكيا محمد ضعف شخصية سني بار و حرض الجند عليه ، فأنقسم الجيش إل مجموعتين مجموعة تناصر سني بار ؛ وكان معه من كبار القواد شي دند، وفار أقنب ، الذي يعتبر من أشجع رجاله و درم كي سندى ، وترتنكي ، وبنكي و كركي ؛ وجند كي و غيرهم ، وكل قائد من هؤلاء القواد له جيش يقوده[6] .

أما أسكيا محمد فقد إنضم إليه من القواد منسي كور ، وبركي منسي كور فقط و أورد عبد الرحمان السعدي عن أسكيا محمد قال :"فلما بلغه ذلك الخبر ، أضمر في نفسه الخلافة ، واحتال في ذلك بأمور كثيرة ،

1_ الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ؛ ص 105 .
2_ محمود كعت ، المصدر السابق ؛ ص 52 .
3_ الهادي مبروك الدالي ؛ المرجع السابق ، ص 105 .
4_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 52 .
5_ نفسه ، ص 55 .
6_ نفسه ، ص 53 .

فلما فرغ من إبرام حبل تلك الحيل ، توجه إليه فيمن كان معه من خواصه، وأغار عليه في ثاني ليلة من جمادى الأولى فانهزم جيشه وولى هاربا حتى وصل قرية يقال لها "إنكع"[1].

و في يوم الرابع و العشرين من جمادى الآخر ، كان أول اصطدام مسلح بينهما ، إنتصر فيه أسكيا محمد، وفر سني بار إلى بلدة زاغ ، فبعث أسكيا له محمد رسوله يطلب منه التسليم ، إلا أن هذا الأخير رفض كل الرسل بمن فيهم آخرهم محمود كعت ، الذي أغلظ له سني بار القول و أخبره بأن الحل بينه وبين أسكيا محمد الحرب ، وبذلك أخذ يجهز في نفسه ، وأيقن أسكيا محمد أن عملية الوساطة باءت بالفشل ، فجهز جيشه و كان الحل العسكري آخر ورقة ، لعب بها و أستمر ينتظر اثنين و خمسين يوما .

و في يوم الاثنين رابع و عشرين من جمادى الآخر دارت بينهما معركة حامية الوطيس ، إنهزم على إثرها سني بار وفر بنفسه إلى "اين" ،واستقر بها إلى أن توفي عام 899 هـ/1493 م ، وكان المناصرون لسني بار أكثر من خصومه و اعتبروه هو الملك الشرعي، وأن ما أقدم عليه أسكيا محمد هو اغتصاب للحكم بغير وجه حق[2].

وبهذا الانتصار استولى محمد بن أبي بكر على الحكم في سنغاي ، وانتهت حقبة من تاريخ هذه المملكة و بدأت حقبة جديدة للمملكة عرفت بحقبة "الاساكي" حيث حمل محمد بن أبي بكر هو و خلفاؤه لقب أسكيا و ظلت أسرة الاساكي تحكم سنغاي لمدة قرن (898-1000 هـ/1492-1591م) حتى مجيء الغزو السعدي الذي أنهى حكم هذه الأسرة ، وقضى على مملكة سنغاي نهائيا [3].

1_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 71 .

2_ نفسه ، ص 72 .

3_ حسين سيد عبد الله مراد ،"مملكة سنغاي" ، **مجلة قراءات افريقية** ، العدد الثالث عشر : 2012م ، ص 18 .

الفصل الثاني

الاسكيا محمد الكبير ودوره في تطوير مملكة سنغاي

1-الاسكيا محمد الكبير (899 – 935 هـ / 1493 – 1528م).

أ- التسمية والانتماء العرقي.

2- الحياة السياسية في عهد الاسكيا محمد الكبير.

أ-التنظيمات الإدارية.

ب- الجيش.

ت- القضاء.

3- الحياة الاقتصادية في عهد الاسكيا محمد الكبير.

أ- الزراعة والثروة الحيوانية.

ب- الصناعة.

ت- التجارة.

4- الحياة الثقافية في عهد الاسكيا محمد الكبير.

أ- دور الأسكيا محمد الكبير في ازدهار الحياة الثقافية .

ب- أبرز رجال الفكر .

1- الأسكيا محمد الكبير (899-935هـ/1493-1528م) :

أ-التسمية و الانتماء العرقي :

برزت أسرة الأساكي الجديدة التي قفزت إلى حكم المملكة بعد أن سقطت أسرة السني ، التي أستمر حكمها مدة تسعة قرون ، في مدينة جاو : أما أسرة الأساكي فدام حكمها لمملكة سنغاي ، زهاء قرن من الزمن (899 - 1000 هـ/1493-1591م) .

وقد ورد اختلاف في اسم الأسكيا الحاج محمد فقد أطلق عليه كعت أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر التوردي أصلا الكوكوي دارا و مسكنا [1] .

أما السعدي فقد أطلق عليه محمد بن أبي بكر الطوري وقيل السكتلي [2] .

وقد أورد المغيلي أنه من أصل سراكولي ، قدم أجداده من الجنوب الموريتاني في الفترة التي حدثت فيها اضطرابات مملكة غانة مع نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي ، ونزلت عائلته حول النيجر الأوسط ، واختلطت مع قبيلة سنغاي [3].

أما كعت فقد ذكر أنه من طور و أمه كسى بنت كركي بكر ، وتنسب أمه إلى سبط جابر بن عبد الله الأنصاري [4] .

وذكر الوفراني :"أن آل أسكيا أصلهم من صنهاجة ، وملكوا كثيرا من بلاد السودان ، وأول ملوكها الحاج محمد أسكيا "[5].

1_محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 16 .

2_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 71 .

3_ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، المصدر السابق ، ص 10 .

4_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 59 .

5_ محمد الصغير الوفراني ، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، الرباط ، ط2، دون تاريخ ، ص 89 .

صعد محمد الأول الكبير إلى الحكم وعمره خمسون سنة 1493 – 1528 م فعكف منذ توليه الحكم على إعطاء البلاد مؤسسات قارة ، فأدخل على الحكومة الكثير من الإصلاحات[1].

جاء لقب أسكيا بعد انهزام شي بار ، على يد أسكيا محمد ، وتناهى الخبر إلى بنات سني علي بهزيمة شقيقهن أمام خصمه ، وقولهن أسكيا "أشكيا" التي تعني في لغة سنغي لا تكون إياه ، أي لا يكون ملك و سماع أسكيا محمد بمقولتهن و إصراره على أن تكون هذه المقولة "أشكيا" ، لقبا له ولملوك سنغاي من بعده تحديا لهن[2].

أما شلبي يعطي معنى آخر لكلمة أسكيا فيقول أن معناها غضب و قاهر و قد سمى محمد أبو بكر نفسه هكذا كي يقهر كل الأعداء[3].

وقد وصفه كعت : "بالإمام الصالح و الخليفة العادل ، و السلطان الغالب المنصور القائم أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر التوردي ، أصلا الكوكوي دارا ومسكنا "[4].

ونعته عبد الرحمان السعدي بالمنقذ و مفرج الكروب ، وميزه بإصلاح الأمور ، كما أفرد له بابا طويلا ووصفه فيه : بأنه الأسعد الأرشد أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين الذي فرج الله به عن المسلمين الكروب ، وآزال به عنهم البلاء و الخطوب ، وأجتهد بإقامة أمور الإسلام ، وإصلاح أمور الأنام و صاحب العلماء[5].

عرف أسكيا محمد بمناقبه الجميلة ، من حسن تدبير السياسة و العطف و الإحسان على المساكين ، و الرفق بالرعية ، وحبه للعلم و أهله ، و التذلل للصالحين و كثرة العطايا لهم ، وكان ملتزما بأداء الصلاة و

1_ عبد القادر زبادية ،مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493–1591م) ، ص 32 .
2_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 72 .
3_ أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 260 .
4_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 16 .
5_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 71 ، 81 .

النوافل ، كما عرف عنه العقل و الذهاء ، و الاهتمام بالرعية و تقريب العلماء من أمثال محمد ابن عبد الكريم المغيلي الذي أصبح مستشاره الأول في الأمور الدينية و السياسية [1].

كما أقام ملة الإسلام ، على أحسن وجه و أصلح الجبهة الداخلية ، بإطلاقه سراح عدد من المساجين منهم المختار بن محمد نقي ، الذي يعتبر من كبار العلماء ، وإرجاع أخيه الأكبر عمر إلى سابق عمله .

2- الحياة السياسية في عهد الأسكيا محمد الكبير :

أ_ التنظيمات الإدارية :

كانت أول أعمال أسكيا الحاج محمد إنشاء نيابة الملك ، في تندرم التي أسندها إلى أحد إخوته ، وهو "عمر مزياع" ، وقد وقع اختياره على تندرم لموقعها الاستراتيجي .

كما استحدث إدارة لجباية الضرائب في جاو ، وجعل الدفع عينا ، وأنشأ الدواوين العسكرية و السياسية و الإدارية ، وحدد اختصاصاتها تحديدا دقيقا ، ثم أقام حكومات تعليمية ، ونصب القضاة و عين الشرطة .

كما قام بتنظيم البلاد على المستوى الإقليمي، فألغى الطريقة القديمة في توكيل رؤساء القبائل، مقابل الاحتفاظ بأولادهم كرهائن [2].

إضافة إلى ذلك اتخذ كاتبا يكتب له رسائله و "البراءة" [3]، يدعى علي بن عبد الله ، وهو الذي أمره أن يكتب له براءة لخليفته .

1_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 59 .

2_ نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 71 ، 73 .

3_ البراءة : هي أن يكتب الخليفة إلى من يأتي بعده بتنصيبه أمير المؤمنين من بعده ، أنظر : الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 115.

ومن أعماله الإداريةتقسيم المملكة إل عدة ولايات ، تدين جميعها بالولاء لجاو العاصمة ، وقد أسند كل ولاية إلى وال ، و أختار الولاة بين أقرانه و عبيده المخلصين ، وبقيت تلك السنة سائدة في تعيين الولاة ، واختيارهم طيلة أيام خلفائه من الأساكي[1].

وهذه الولايات هي :

1–ولاية كورما : تقع إلى الغرب من نهر النيجر ، كان وليها في بداية الأمر يقيم في جاو ، ثم انتقل بعد ذلك إلى "نندبر ماء"، وهو يعتبر ممثل الحكومة في الغرب كله ، ولذلك كانت له صفقة الامتياز عن غيره من حكام الولايات .

2– ولاية بالاما : تقع على حدود بلاد الموسى ، في الجنوب الغربي من مملكة سنغي ، وعلى ما يبدو أن من أسباب إنشائها ، على حدود مملكة الموسى ، تلك الصراعات المستمرة بين المملكتين ، منذ زمن مملكة مالي الإسلامية و إلى مملكة سنغاي ، لأنها كانت تشكل باستمرار خطورة الأمر الذي جعل أسكيا محمد ، يقيم ولاية على حدود أطراف الموسى .

3– ولاية دندي : تقع إلى الجنوب الغربي من جاو ، وكانت قصبتها مدينة جوجيا ، وحاكمها زمن أسكيا داوود ، موسى سفنار ، وعند موته آلت ممتلكاته إلى السلطان أسكيا داوود[2] .

4– ولاية بانجو أو بانكو : تقع حول بحيرة ديبو بين جاو و تنبكت ، وكانت لها مكانة خاصة عند حكام سنغاي ، لأنها تمثل مركز تجاريا هاما ، فواليها الوحيد الذي يدخل حاضرة سنغاي بفرقته الخاصة من ضاربي الطنابير .

5– ولاية هاربي ندا : تقع على ضفة نهر النيجر ، من الجهة اليمنى المواجهة للعاصمة جاو .

1_ عبد القادر زيادية ، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493–1591)**، ص 134 .

2_ عبد الرحمان عبد الله الشيخ ،**دول الإسلام و حضارته في إفريقيا** ، دار اللواء ، الرياض ، 1983 م ، ص 74 ، 75 .

6- ولاية فر النيجر : كان يشرف عليها قائد الأسطول ، وتسمى وظيفته إدارية كوي [1] .

7- ولاية فر : كان حاكمها كسور بن موسى ، وهو أحد أعوان أسكيا الحاج محمد [2] .

8- ولاية تنبكت : تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ، بما يعرف اليوم بمنحنى نهر النيجر ، اشتهرت كمدينة علمية ، ارتادها العلماء من الشمال الإفريقي و أنجبت علماء أفذاذا أمثال أحمد بابا التنبكتي ، وخضعت تنبكت لأسكيا الحاج محمد ، وعلق عليها أماله ، وزادت من شهرة المملكة احتضانها جامعة سنكري التي كانت تضاهي الأزهر و الزيتونة ، وغيرهما من مراكز العلم ، إضافة إلى ذلك أنها كانت مركزا تجاريا يرتاده التجار من الشمال الافريقي و الشرق الغربي ، قال عنها عبد الرحمان السعدي : "ما دنستها عبادة الأوثان و لا سجد على أديمها قط لغير الرحمن ، مأوى العلماء و العابدين "[3].

9- ولاية قندام : تقع ولاية قندام إلى الغرب من مدينة تنبكت و كانت ذات مركز اقتصادي و ثقافي ، كان قاضيها أيام أسكيا موسى القاضي بوجمعة الطرابلسي .

10- ولاية رأس الماء : تقع إلى الشمال الغربي من مدينة تنبكت ، بحوالي ستمائة كيلومتر وقد استحدثها أسكيا الحاج محمد ، في بداية حكمه و حفر فيها الآبار ، فكثر الناس بها و عمرت و أصبحت ولاية .

11 – ولاية أقدز أوآكدز : تأسست في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي على يد قبائل الغوبيروا، وعرفت هذه المدينة صناعة الجلود ، عندما سيطرت عليها سنغاي و أرتادها تجار و علماء من المغرب و ليبيا [4].

1_ أمين إمبر ، **إفريقيا و العرب** ، دار الحقائق ، بيروت ، 1982 م ، ص 22 .

2_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 65 .

3_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 21 .

4_ زكاري مايكوريا وبوبي كابو وبودي هادو و آخرون ، **الحضارة الإسلامية في النيجر** ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، اسيسكو ، الرباط ، مطبعة البيت ، 1994 م ، ص 57 ، 58 ، 59 .

12- ولاية جني : تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت ، وتبعد عنها بحوالي سبعمائة كيلومتر ، واختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسها ، فمنهم من أرجعها إلى 494 هـ/ 1100 م ، ومنهم من رأى غير ذلك[1].

إلا أن عبد الرحمان السعدي أورد بها : " بدأت في الكفر في أواسط القرن الثاني الهجري 623 م "، وكان أول بناء بها سورها و سد الحفظ المياه ، وبعض المباني ، وكان أول ملوكها "جنور" ، الذي ينتسب إلى قبيلة مرك، وبعد وفاته تولى أخوه بعده ، ثم تولى بعده الملك "كيكمبر" ، الذي أعلن إسلامه في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر ميلادي ، واستمرت المدينة في حالة ازدهار إلى أن دخلها الملك سني علي ، ثم دخلها بعده أسكيا الحاج محمد و كان لها وزنها في السودان الغربي [2].

كما أن أسكيا الحاج محمد ركز مجهوداته من أجل إيجاد مراقبين و مفتشين للإشراف على العمل و قد عهد بهذه الوظائف إلى رجال أكفاء أختارهم من أقرب مساعديه ، كما حدد لكل واحد منهم اختصاصات عمله بكل دقة .

ومن هذه المناصب :

- تفتيش الضرائب العام و يرأسه مفتش الضرائب ، وله أعوان منتشرون في جميع أسواق البلاد ، وعلى الحدود، حيث يهتم باستقبال القوافل القادمة للبلاد ، من الشمال الافريقي ، أي من المغرب و تونس و ليبيا ومصر ، و يأخذون على البضائع رسوما ، وكانت وظيفة مفتش الضرائب الإدارية تسمى (موندي) .
- وظيفة المشرف على الشؤون القبلية (كوري فاريما) وهو الذي يذهب إلى رؤساء القبائل ، ليعرف مشاكلهم ، وكانت هذه الوظيفة موجودة عند الأتراك في الفترة نفسها .
- وظيفة المشرف على الغابات(ساوفاريما) وهو المسؤول عن قطع الأخشاب لبناء السفن ومراقبة الصيادين[3]

1_ حسن إبراهيم حسن ،**الإسلام في القارة الإفريقية** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط3 ، 1984 م ، ص 217 .

2_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 35 .

3_ عبد القادر زبادية ، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493 – 1591)** ، ص 35 .

- وظيفة حاكم عام العاصمة وهو يتعامل مع الأهالي ، وحل مشاكل المدنية ، ومراقبة الأسواق ، باعتبارها العاصمة ، وتنفرد مدينة جاو بهذه الوظيفة ، عن باقي المدن الأخرى ، نظرا لأهميتها[1] .

وقد أورد محمود كعت في هذا الصدد قائلا : " إن الأسكيا محمد يصلح حتى لحكم دولة بني العباس، وكل دولة أخرى غيرها [2].

ب– الجيش :

كانت من أهم الأعمال التي قام بها أسكيا الحاج محمد بعد توليه الحكم مباشرة إعادة بناء الجيش من أجل تنظيم دولته لأنه عدته في السلم و الحرب و قد استخدم تكتيكا عسكريا متميزا ، حيث أدخل فرقا من فرسان العرب المغاربة و من قبيلة الطوارق و جعلها في سلاح المشاة ، وأنشأ أسطولا من سفن التموين [3].

حيث وضع لكل فرقة نظامها الخاص ، كما حددت الأدوار الخاصة بكل فرقة في الحرب ، منهم المشاة و الفرسان و الخيالة و المساعدون و كان القائد العام للجيش هو الملك ، وقد قسم الجيش إلى فصائل و جعل الإشراف على فصائله في الأقاليم تحت سلطة لواءه ، كما أن طبقة العبيد كان لها دور هام فيه [4].

لقد تطور الجيش بما يناسب اتساع المملكة و تقدمها ، ويقال أيضا أنه اعتمد على المرتزقة و بعض القادة منهم ، وقد توصل بعضهم إلى مناصب عالية جدا بفضل مؤهلاتهم ، وكانت أقسام هذا الجيش هي الخيالة التي كانت غالية الثمن بالإضافة إلى الحربة ، وفرقة الفرسان و تتكون أسلحتهم من الدروع الحديدية بالإضافة إلى الرماح و التروس وهي من صنع محلي .

أما فرقة المشاة فإنها تشكل قسما كبيرا من الجيش و يحملون القوس ، وقد عرف عن هذه الفرقة شجاعة أفرادها ، فمنهم الفدائيون وكتائب الاستطلاع ، أما أسلحتهم فهي الحراب و السهام وأيضا الفؤوس الحادة

1_ الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 71 .

2_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 22 .

3_ حسن أحمد محمود ،**الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا** ، القاهرة ، 1962 م ، ص 249 .

4_ سينسكي مودي سيسيكو ، **الصنغاي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر** ، 8 أجزاء ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1988 م، ج4 ، ص 212 .

أحيانا كما أن الحرس الملكي موجود بصفة دائمة في جيش سنغاي أثناء المعارك ، وأهم عمل تقوم به هذه الفرقة حراسة الملك و الحاشية و الضرب على الطبول و النفخ في الأبواق أثناء مسيرة الجيش [1].

أما الأسطول فقد كانت سنغاي تمتلك قوة بحرية على النيجر و خاصة في جاو و تمبكتو ، كما كان لها أسطولا حربيا لحمل الجنود عندما ينتقلون من مكان لآخر على أطراف النهر وقد بلغ عدد قوارب الأسطول ألفي قارب .

كما أستخدم الجواسيس لمعرفة مدى قوة العدو و مسالك أرضه و إجمالا كان جيش سنغاي نظاميا من حيث القيادة و التدريب و التوزيع ، غير أن الأسلحة كانت قديمة و الدليل على ذلك أنها لم تجد نفعا أمام الأسلحة النارية التي لم يعرفوها و التي أستعملها المغاربة أثناء غزوهم لهم [2].

ت- القضاء :

كان تعيين القضاة من حق الملك وكان الأسكيا هو أمير المسلمين يفوض قاضيان الأول يخضع للأحكام الإسلامية المستمدة من المذهب المالكي ، وكانت له الكلمة القاطعة و رأيه الأعلى .

وكان القضاة لا يقبلون تولي هذا المنصب بسهولة فقد كانوا يرفضون بشدة و لكنهم تحت إلحاح وضغوط الملك و استعماله للقوة التي يلجأ إليها في بعض الأحيان فإنهم يقبلون الأمر على مضض ، ويساعد القاضي الحاجب و الكتبة و الموثقون[3].

ونتيجة للحظوة التي كان عليها القضاة كانوا يطلبون الشفاعة للخارجين عن طوع السلطان [4].

ومن مهام القاضي الفصل في الأمور التي تتصل بحياة الناس اليومية فيحكم في الخلافات الشخصية،من طلاق وزواج و إرث ودين وقرض و تجارة و عقارات و مشاكلها .

1_ عطية مخزوم الفيتوري ، المرجع السابق ، ص 318 .

2_ دنيس بولبم ، المرجع السابق ، ص 110 .

3_ جوليان أندرينه ، تاريخ إفريقيا ، ترجمة : عوض أباضا ، دار النهضة ، القاهرة ، 1986 م ، ص 84 .

4_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 167 .

ومن مهامه أيضا الإشراف على بناء المساجد ، وتوسيعها و ترميمها و بناء المدارس ، وسير العملية التعليمة ، فهو الذي يعين المدرسين و يحصي الطلبة ويقدم لهم يد العون ، وقد تصل مهام القاضي إلى التحريض على الثورة إذا ما شعر بالظلم [1].

وكان منصب القضاة يتفاوت من مدينة إلى أخرى ،فكان قاضي تنبكت له صلاحيات أكثر من زملائه ، في المناطق الأخرى ، في إقالة أي قاضي ، دون الرجوع للسلطان ، إذا ما رأى منه عدم الاستقامة في تصرفاته أو أحكامه [2].

أما عن رواتب القضاة و الفقهاء ، فيدفعها الملك من الخزينة ، وهي رواتب محترمة ، وقد تدفع رواتب القضاة من أموال الأوقاف [3].

وعادة ما يكون المسجد المقر الرئيسي للقاضي ، لإصدار الأحكام ، وقد يصدر أحكامه في بعض الأحيان حتى تحت الأشجار ، بأن تنصب له كنبة خاصة به و يفصل بين الرعية ، وهذا ما حدث لكاتب موسى الذي كان يفصل في مسائل القضاء تحت الأشجار في بعض الأحيان [4].

أما إذا تغيب القاضي أو سافر إلى بلاد بعيدة ، مثل الأراضي المقدسة و نحوها ، فإنه يخلف بدله قاضيا يختاره هو [5].

كما أن أنواع العقاب تتفاوت بحسب الجرم الذي يقترفه الشخص ، فالقاضي له حق تطبيق عقوبة السجن وغيرها ، وقد أورد عبد الرحمان السعدي أن القاضي محمود عندما جاء له بعض الأهالي من تنبكت ،

1_ الهادي مروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 136 .
2_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 260 .
3_ الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 167 .
4_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 57 .
5_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 76 .

يطلبون منه عزل أحمد والد (ناسرك) و تعيين (أبو القاسم التواتي) رفض القاضي و قال لهم : إذا لم تخرجوا سجنتكم [1].

كما تصل أقصى أنواع العقاب في بعض الأحيان إلى القتل ، فكل من لا يدعوا السلطان باسمه أسكيا ، ومن لا يحمل التراب على رأسه ، ومن لا يركب وراءه ، يعتبر خارجا عن حكمه ، فيقتل بطريقة بشعة تنم عن أنها أقصى العقوبات التي اخترعتها أمهات أفكار السلطان ، فطريقة القتل بأن تحفر له حفرة عميقة ، توضع فيها حيات ويردم عليه التراب ، وهذا ما حدث لأبي بنك مع السلطان أسكيا موسى ، حينما خرج عن نطاق حكمه [2].

الأمر الذي جر عليه المشاكل ، كما يوجد لديهم نوع آخر من العقاب وهو لا يختلف كثيرا عن النوع الأول ، ويطبق على المجرم السابق نفسه ، بأن يوضع المراد قتله في (سنكور)[3]، ويخاط عليه جلد بقرة ، و يردم في حفرة عميقة ، تصل إلى مترين ، وقد حكم بهذا العقاب أسكيا إسحاق على هنبركي[4] .

3 – الحياة الاقتصادية :

تمكنت سنغاي بفضل موقعها الجغرافي من السيطرة على الطرق التجارية إذ كانت تقع على نهر النيجر[5] الذي يخترقها من الغرب إلى الشرق ، و الذي تميز بخصوبته الدائمة ، وأهم مواردها الاقتصادية هي :

أ_ الزراعة و الثروة الحيوانية :

تمثل الزراعة الحرفة الرئيسية و المصدر الأساسي لعيش الغالبية العظمى من أهل البلاد ، وذلك لوجود معظم الأقاليم المأهولة بالسكان ، في منطقة السفانا التي تتمتع بخصوبة التربة ووفرة المياه ، وقد ساهم عدد من

1_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 60 .

2_ نفسه ،ص 84 .

3_ سنكور : في لغة سنغاي نوع من الطين شديد التماسك ، إذا خلط بالماء : يبنون به أعمدة منازلهم لقوته ، والمتهم يسربل به حتى يضغط على جسمه ضغطة قوية فيزداد في ألمه ، وكأنهم يريدون أن يعذبوه عذاب القبر ، قبل أن يوضع فيه ، أنظر : الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 140.

4_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 128 ، 129 .

5_ الحسن الوزان ،المصدر السابق ، ص 30 .

حكام السودان الغربي ، وفي طليعتهم أسكيا الحاج محمد الكبير في تطوير الإنتاج الزراعي و إدخال أساليب جديدة لاستصلاح الأراضي و تحسين الحبوب ورفع معدلات الإنتاج ، مستفيدا من صلات بلاده الوثيقة بالشمال الافريقي [1].

و الزراعة في السودان الغربي هي عبارة عن مزارع للقطاع الخاص و العام و كانت الزراعة في القطاع الخاص مقسمة حسب نوعية المزروع ، فهناك مزارع خاصة بالأرز ، ومما يؤكد ذلك مزرعة الأرز في أرض (بون) التي منحها أسكيا محمد بان إلى شيخ يدرس طلاب العلم و في المقابل كانت هناك مزارع لعامة الناس و هي عادة ما تكون صغيرة [2].

وكانت الزراعة منتشرة في عدد من مناطق السودان الغربي ، حيث كان جزء منها يعتمد على مياه الأنهار و الباقي يعتمد على الأمطار و العيون ، وخاصة في المناطق البعيدة على نهر النيجر .

أما الزراعة في تنبكت ... فإنها تعتمد على مياه نهر النيجر[3] و الأمطار ، وقد أفاد مارمول بأن المدينة حباها الله بنهر النيجر ، وقد ذكر كعت أن الزراعة في المدينة ، تعتمد على مياه الأمطار[4] .

وأرض تنبكت صالحة للزراعة ، يزرع بها القمح ، و الشعير و الذرة ، و البطاطا ، و اللفت و الخس ، وأغلب الحبوب و الخضروات [5].

أما الزراعة في مدينة جنى ، فيزرع بها الشعير و الأرز و القطن ، وأفاد الوزان بأن البلدة لا تنبت بها الأشجار المثمرة ، و لا وجود لأية شجرة فاكهة [6].

1_ الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 267 ، 268 .

2_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 130 .

3_ كارنخال مارمول ، إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي و محمد زنيبر و آخرون ، ثلاثة أجزاء ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرباط ، 1984م ج 3 ، ص 203 .

4_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 156 .

5_ كارنخال مارمول ، المصدر السابق ، ص 203.

6_ الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 163 .

كما تربعت على جزء من أراضي السودان الغربي ، وخاصة في جنوب مدينة جنى ، وجنوب غرب قندام وسيقو و شرق كنى و طاوة ، غابات كثيفة بها أشجار مثمرة و غير مثمرة ، وقد أورد ابن بطوطة أن القافلة الواحدة تستظل تحت شجرة واحدة ،وهذا ما يدل على ضخامتها و أن النساج ينسج غزله بداخلها إلى آخر ذلك ،و بها أشجار مثمرة أشبه بالتفاح و المشمش و الخوخ ،وهناك أشجار يستخرج من ثمارها دقيق ، يستعمله التجار في المبادلات التجارية في الأسواق [1] ، كما كانوا يجمعون من الأرض حبوبا شبيهة بالفول ، يقلونها مع الغرتي و يأكلونها ، وهي من أفضل الأكلات [2]، كما تكثر لديهم فواكه مثل الجميز و ثمار تعرف (بتادمون) و هي طيبة المذاق حسب تعبير القلقشندي [3].

وقد كانت تفرض ضرائب على المنتوجات الزراعية ، فقد كان لأسكيا الحاج محمد رجل مخصص لجمع الضرائب عن المحاصيل ، و أعلن قيمة للضريبة ثلاثون (فتا) لا يتجاوزها ، وتمنح الغرامة حسب الاستطاعة و لا تفرض ، فمن المزارعين من يدفع عشر أفتات ، ومنهم من يعطي عشرين ومنهم ما دون ذلك ... و هكذا إلى الثلاثين.

أما فيما يخص الثروة الحيوانية فقد ضمت بلاد السودان الغربي ثروة حيوانية شملت الحيوانات الأليفة و البرية فقد اهتم السكان بتربية الحيوانات الأليفة و الاستفادة منها في حياتهم اليومية .

فقد أولى سكان السودان الغربي عناية خاصة بالحيوانات المستأنسة فاهتموا بتربية الإبل ، التي استفادوا من لحومها و ألبانها في غذائهم و وبرها وجلدها في صناعة بيوتهم و لباسهم ، كما استخدموها في نقل أحمالهم و تجارتهم ، وخزانات للمياه ، فالبدوي يمثل الجمل عنده أغلى شيء [4].

1_ عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي إبن بطوطة ، **تحفة الأنظار و غرائب الأمصار و عجائب الأسفار** (رحلته) ، الدار البيضاء ، المغرب : ط1، 2006 م ، ص 681 .

2_ نفسه.

3_ أحمد بن علي أبو العباس القلقشندي ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، أربعة عشر جزء ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ج 5 ، ص 288 .

4_ زكرياء بن محمد ابن محمود القزويني ، المصدر السابق ، ص 18 .

وكانت بأعداد هائلة فأسكيا الحاج محمد ضيف الشريف أحمد الصقلي بأن نحر له مائة من الإبل [1]، الشيء الذي يترجم لنا مكانة الشريف أحمد الصقلي السامية و الروحية باعتباره شريفا و أولى السكان عناية خاصة بتربية الأبقار و الإكثار منها ، وقد اختصت بذلك قبائل الفولان دون غيرها بهذه المهمة ، وكان منتشرا على حافة الصحراء ، وفي مدن كاوكاو وكوبر وأقدز[2]، ولوفرته منح صاحب سنقر فندنك بوب،وول كين ، عليا التلمساني ست آلاف بقرة ، في مقابل صلح بينهم على أن يرجعه إلى بلده[3] .

كما كانت منطقة السودان الغربي تزخر بمختلف أنواع الطيور منها الداجنة و البرية ؛ ويشير القلقشندي إلى وجودها في ذلك الوقت قائلا : وهما من الطيور الدواجن ، الأرز و الدجاج و الحمام [4]، وكان الدجاج يمثل جزء هام في منازل سنغاي ، على أيام الاسكيين ، وكان بيض الدجاج ولحومها يمثل غذاء مهما في حياة السكان[5] .

كذلك من الطيور التي احتضنتها أرض السودان الغربي ، الباز و العقاب سور وقد أفاد كعت في ذلك قائلا:"و إن أدركت خصيانه هنا قتلوك وكنت غذاءا للعقاب و النسور " [6].

وكان هناك أيضا عدد هائل من الحشرات مثل الناموس الذي قد خدم في السجون وهو نوع من العقاب ، وقد سجن أسكيا الحاج محمد الكبير في سجن يكثر فيه الناموس [7].

1_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 18 .

2_ الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 171 ، 172 ، 178 .

3_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 195 .

4_ أحمد بن علي أبو العباس القلقشندي ، المصدر السابق ، ص 288 .

5_ Pl. .dekcyser et drivot ,**les oiseaux de l'ouest africain** , dakar , 1966, p144 .

6_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 137 .

7_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ن ص 89 .

ب- الصناعة :

كان لمنطقة السودان الغربي ثروة معدنية يفوق عائدها الاقتصادي الثروتين السابقتين ، وتشمل معادن جد مهمة ، وهي : الذهب و الملح و النحاس و الكحل و غيره، ومعدن الذهب من أهم المعادن التي حظيت بالعناية الفائقة من قبل حكام السودان الغربي وفي مقدمتهم السلطان أسكيا الحاج محمد الكبير سلطان سنغاي .

ويوجد الذهب في أعالي نهر النيجر الذي يجرفه معه عند انحداره السريع من مناطق الجبال العالية ، حيث يتسع مجراه عند جاو و تنبكت ، فيفيض على الجوانب في مواسم الأمطار [1].

ومن المعادن المهمة أيضا الحديد وكانت مناجمه منتشرة في عدد من بقاع السودان الغربي ، وازدادت أهميته زمن الملك سني علي ، و أسكيا الحاج محمد ، وذلك نظرا لكثرة فتوحاتهم ، فازدادت الحاجة إليه في صناعة الأدوات الحربية ، وكثرت دكاكين محترفيه ، فصنعوا منه الحراب و السيوف ، والرماح و الدروع ، كما عرفت المنطقة معادن أخرى كالرصاص و الكحل و القصدير [2].

أما فيما يخصص الصناعة فقد طور الأهالي بشكل كبير صناعة النسيج ، وخاصة بعد وجود المواد الأولية لهذه الصناعة في البلاد منها : الصوف و الوبر و القطن ، وقد أكد : الوزان عند زيارته لسنغاي ، في عهد الأسكيا الحاج محمد الكبير ، في بداية القرن العاشر هجري ، السادس عشر ميلادي ، على انتشار دكاكين الحياكة في مجال القطن ، حيث كان بعض الناس يقومون بغزله ، و البعض الآخر اختص بنسجه ،وكان القطن يستخدم كوسيلة لشراء بضائع الشمال الإفريقي ؛ المجلوبة للسودان الغربي بطريقة المقايضة ، و الدليل على ذلك ما شاهده الحسن الوزان ، أثناء رحلته إلى مدينة جني قائلا :"و يجني سكان البلاد أرباحا عظيمة من تجارة أقمشة القطن ، التي يمارسونها مع التجار العرب المغاربة ، و يبتاع منهم هؤلاء بالمقايضة الكثير من الأقمشة الأوروبية "[3].

1_ Mauny .R, **tableau deographique de l'ouest africain au moyen age** ,dakar , 1961 , p295 .
2_ Ibid , p205 .

3_ الحسن الوزان ؛ المصدر السابق ، ص 537 .

وكذلك من الصناعات الدقيقة في المنطقة و التي تنم عن إبداع رفيع ، واهتمام بالرسائل التي لا بد أن تكون ذات قيمة ، صناعة حوافظ الورق في سنغاي ، حيث كانت تصنع حوافظ الرسائل من معدن النحاس[1].

وكذلك صناعة تجفيف السمك الذي يؤكل ، و يصدر إلى الخارج ، وما يدل على ذلك أن أسكيا محمد كان يفرض ضريبة على قبيلة جندكت ، من السمك المجفف ، وكان السمك يقاس بالحزمات ، و الضريبة الواحدة عشر حزمات ، وأفاد كعت قائلا :"...يأخذ غرامتهم كلما فاض البحر ، يأخذ ممن استحق عشر حزمات من الحيتان اليابسات "[2].

كما نجد أيضا صناعة القوارب و السفن التي كانت من أنشط الصناعات زمن الملك سني علي ، وشهدت نشاطا كبيرا أيام الأسكيا الحاج محمد و خلفاؤه و ازدادت في فترة المغاربة ، وخاصة زمن جودر باشا فعرف ميناء كبره نشاطا للسفن ، التي كانت ترسو على مرفأ ، وقد استخدم أسكيا إسحاق القوارب في فراره من القائد جودر باشا عام 999 هـ/ 1590 م[3].

وكانت هذه السفن تصنع من أشجار غليظة و قوية بأن تعد الإعداد الجيد، وتنظف من بقية الأغصان ، ثم تخاط بطريقة انسيابية ، فتصنع قوارب صغيرة ، و سفن كبيرة ، وهناك سفن يتفنن فيها صناع السودان من حيث الأناقة ، وهي التي ينتقل فيها السلطان[4].

ت- التجارة :

بدأ قيام المراكز التجارية على أطراف الصحراء في أماكن الاستقرار حول الواحات و الوديان، وتم التبادل التجاري بصورة بسيطة في أول الأمر بين السكان المستقرين على أطراف الصحراء ، و البدو و المتجولين نسد

1_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 67 .
2_ نفسه ، ص 57 .
3_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 82 ، 145 ، 162 .
4_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 50 ، 95 ، 158 .

متطلباتهم ، نظرا للتباين الواضح بين إنتاج المنطقة الصحراوية و الأقاليم المحيطة بها ، فاتسع نطاق هذا التبادل ، عندما تم عبور الصحراء ، بصورة منتظمة منذ العصر الفنيقي[1].

وقد استوعبت هذه المراكز الأيدي العاملة الوافدة من القبائل المجاورة لها ، وازدادت الهجرات إليها بازدياد حركة القوافل حتى صار السكان خليطا من مختلف العناصر ، فتحولت الحياة البسيطة إلى حياة حضارية، معتمدة أساسا على التجارة و استقبال القوافل ، مساهمة بذلك في نمو بعض المراكز التجارية و توسيع حدودها.

وقد عرفت المراكز التجارية ارتباطا وثيقا بالأمصار الكبرى ، شمال الصحراء وجنوبها ، واتصلت بطرق التجارة العالمية البرية و البحرية فكانت صلاتها بموانئ سواحل البحر الأبيض المتوسط ، و البحر الأحمر و المحيط الهندي[2].

ومن أهم المراكز التي قامت على جانبي الصحراء الشمالي و الجنوبي :

جني : تقع مدينة جني إلى الجنوب الغربي ، من مدينة تنبكت ، وتبعد عنها بحوالي ستمائة كيلومتر تقريبا وقد ورد اختلاف في تاريخ تأسيسها إلا أن السعدي يورد أنها تأسست في القرن الثاني الهجري 623/2 [3] .

حظيت بأهمية اقتصادية كبيرة ، نظرا لموقعها المتميز ، كملتقى للقوافل التجارية التي تسير بين شمال الصحراء و جنوبها حيث اشتهرت بتجارة الملح و الذهب ، وقد وصفها عبد الرحمان السعدي :"وهي سوق عظيم من أسواق المسلمين ، وفيها يلتقي أرباب الملح من معدن تغازا و أرباب الذهب من معدن بيط ."[4]

وقد زادت ازدهارا وقيمة تجارية ، بعد أن دخلها الملك سني علي ، حيث عمل على تطويرها ، ودعم الأمن بها ، بعد أن تزوج أم أميرها [5].

1_ Trimingham j.s , op.cit ,p 13 .
2_ S.D Goiten,**Studies in islamic history and institution I, M lemis , Islamic intropical Africa** , oxford , 1966, p23,25 .

3 عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 12 .

4_ نفسه .

5_ Henri Barth , op.cit,p 532 .

وفي زمن الأسكيا الحاج محمد الكبير ، أصبحت جنى أكثر إزدهارا وملتقى لتجار السودان الغربي و خارجه ، وقد مكنها موقعها من الاستفادة من النقل النهري ، في نقل الملح و الذهب ، وباقي السلع الأخرى، بالقوارب من تنبكت و جاو و سيقو إلى جنى و بالعكس[1] .

تنبكت : تقع مدينة تنبكت على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر ، وقد مكنها موقعها المتميز ، من أن تلعب دورا مهما في اقتصاد شمال و جنوب الصحراء[2] .

لقد مثلت التجارة المصدر الرئيسي في حياة سكانها ، لذلك اهتموا بها اهتماما كبيرا ، وتوافد عليها التجار من السودان الغربي ، ومن خارجه ، و خاصة من الشمال الافريقي ؛ وفي مقدمتهم المغرب و ليبيا ، فكان تجار سجلماسة ، وفاس ، و السوس ، وغدامس ، وفزان و طرابلس في حركة دؤوبة معها ، يحملون معهم بضائعهم ، ويعودون محملين بالذهب ، و الرقيق و ناب الفيل ، وريش النعام و غيره[3] .

و قد أعجب الحسن الوزان بوفرة خيرات تنبكت ، وبكثرة الحوانيت التي تبيع المنتوجات القطنية و الأقمشة المجلوبة لها من الشمال الإفريقي و أوروبا[4] .

وقد أفاد عبد الرحمان السعدي ، بأن تنبكت ملتقى للتجار أصحاب رؤوس الأموال الضخمة من كل بلاد[5] .

وأورد ابن بطوطة أن بها قبر "سراج الدين بن الكويك" ، أحد كبار التجار من أهل الإسكندرية[6] ، الشيء الذي يبرز لنا مدى قيمة هذا المركز اقتصاديا لربطه بين شمال و جنوب الصحراء .

1_ الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 307 .

2_ نفسه .

3_ نفسه ، ص 308 .

4_ الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 165، 166 .

5 _ Lient prefontan, **Histoire de tombucto de sa fondation a l'occupation fran-caise** , paris , 1942 , p 34 .

6_ عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 11 .

كما نجد مدينة جاو عاصمة مملكة سنغاي ، من أهم المراكز للاتجار بالملح ، ومع أن هذه المدينة كانت محطة لأهم أنواع السلع التي تنقل إليها من الشمال الإفريقي و البحر المتوسط ، إلا أن أغلى أنواع السلع فيها هو الملح [1].

وفي عهد ابن بطوطة كان حمل الملح يباع في أبولاتن من ثمانية إلى عشرة مثاقيل ، وربما انتهى إلى أربعين مثقالا [2].

لقد عرفت سنغاي في فترة الأسكيا الحاج محمد الكبير حرفة الوراقين ، وتأليف الكتب ، وذلك على نمط ما كان في مصر و المغرب الأقصى ، و نتيجة لإقبال حكام و علماء السودان الغربي على اقتناء الكتب ، تمكن التجار من الحصول على أموال ضخمة في بيع هذه السلعة التي كان لها رواج ملحوظ في المنطقة ، نظرا لانتشار العلم و العلماء ووجود منارات للعلم [3].

4 – الحياة الثقافية :

أ– دور الأسكيا محمد الكبير في ازدهار الحياة الثقافية :

تجلت عظمة سنغاي الإسلامية و ازدهارها في عهد أسكيا محمد ، الذي كان صديقا للعلماء مكنا لهم عظيم التقدير و الاحترام ، فأمر ألا يقف أحدا إلا للعلماء و ألا يأكل معه سواهم وكانوا إذا دخلوا عليه أجلسهم على سريره ، كما دعم جامعة سنكوري ، في تمبكتو و شيد العديد من معاهد العلم و جذب لها العلماء من المغرب و البلدان المجاورة [4].

1_ الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 544 .

2_ عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 674 .

3_ حسن أحمد محمود ،"دور العرب في نشر الحضارة في غرب إفريقيا"، **مجلة كلية الآداب** ، القاهرة ، العدد الخامس عشر ، 1959 م ، ص89.

4_ نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 78 .

ونتيجة المعاملة الجيدة للعلماء من طرف السلطان أسكيا محمد ، حضر عدد منهم و أقاموا في جاو و جني و تنبكت ، فكان وجودهم بهذه البلاد سببا في نهضة ثقافية شملت البلاد في القرنين السادس عشر و السابع عشر و بفضلهم أصبحت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية [1].

لقد كانت جميع المعارف تدرس و تستوعب بواسطة اللغة العربية وكانت هذه اللغة هي لغة الكتابة الرسمية و الثقافة على السواء غير أن التدريس في المساجد كانت تستخدم فيه اللهجات المحلية العامة ، أما طلاب العلم فكانوا يدرسون باللغة العربية [2].

لقد كان من أثر انتشار اللغة العربية في البلاد أن ظهرت الثقافة العربية الإسلامية و أثرت في الحياة الفكرية في سنغاي ولذا ظهرت في عالم السودان الغربي حركة فكرية إسلامية في ميادين الأدب و التاريخ و العلوم الإسلامية و علوم اللغة العربية و شتى مظاهر الحياة الأخرى [3].

كما أن أسكيا محمد أولى عناية فائقة بجامعة سنكوري في تمبكتو ففي عهده وصلت إلى ما لم تصل إليه من قبل و كانت هذه الجامعة في السودان الغربي كجامعة الأزهر في القاهرة أو جامعة القرويين في فاس بالمغرب أو جامعة الزيتونة في تونس أو جامعة النظامية في بغداد [4].

كما شجع أسكيا محمد على فتح المدارس في تمبكتو و التي أصبحت مركزا هاما من مراكز العلم وموطنا مشهورا من مواطن الثقافة الإسلامية [5].

فقد كان وضع سنغاي أيام أسكيا محمد يدعو للدهشة فقد غلب عليها نفوذ التجار و المثقفين ، فكان سكان مدينة تمبكتو على جانب كبير من الثراء و كان يوجد بها عدد كبير من مكاتب للقضاة ، ومنازل للفقهاء و المدرسين و رجال الدين ، ودكاكين الأطباء و العقاقير ، وكانت هذه المدينة هي المركز الثقافي

1_ كامل محمد الصاوي ، المرجع السابق ، ص 118 .
2_ محمد فاضل علي باري : سعيد إبراهيم كريدية ، المرجع السابق ، ص 125 .
3_ نفسه ، ص 126 .
4_ نفسه ، ص 118 .
5_ نفسه ، ص 119 .

المعترف به لإمبراطورية أسكيا وكان بها طلب متزايد لنكتب المخطوطة التي تستورد من بلاد البربر ، كما كانت تجارة الكتب بها تجلب الربح [1].

ب- أبرز رجال الفكر :

لقد ظهر نوع من الكتابات الأدبية و ظهر الشعراء و البلغاء و رجال الفكر أمثال :

***عبد الرحمان السعدي** : عالم ديني ومؤرخ مملكة سنغاي في غرب إفريقيا ، تعلم على يد والده وبعض علماء المدينة أمثال الفقيه المالكي أحمد بابا ، شغل منصب إمام مسجد سنكوري ، ألف كتابا عن وطنه ، أسماه تاريخ السودان ، إستهله بتبيان التاريخ القديم لقبائل السنغاي ، ومالي و الطوارق ، ولكل من مدينتي جنى و تمبكتو ، توفي في مدينة غاو المالية عام 1656 م [2].

* **أحمد بابا التنبكتي** : هو محمد عبد الله بن محمد ابن الطالب علي بنان البرتلي ، وهو الإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ المطلع ، المحقق الكبير الثقة [3].

فقيه مالكي و محدث ومؤرخ من أهل تمبكتو بمالي ، أصله من الصنهاجة البربر .

من مؤلفاته كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج وهو كتاب تراجم و كتاب التحديث و التأنيث و كتاب النكت المستجادة في مساواة الفاعل في المبتدأ في شرط الإفادة و كتاب فوائد النكاح على مختصر الوشاح المنسوب للسيوطي [4].

* **محمود كعت** : فقيه ومؤرخ وقاضي مدينة تمبكتو، ولد عام 1463 م وله كتاب التاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس ، وهو كتاب مهم يعتبر مصدرا أساسيا في التاريخ السياسي و الثقافي و

1_ أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 265 .

2_ نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 46 .

3_ أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي ، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور** ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط1 ، 1981 م ، ص 17 .

4_ عبد القادر زبادية ، **الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء** ، ص 55 .

الاجتماعي لمملكة سنغاي ، وقد اعتمد عليه المؤرخون الفرنسيون في تأريخ غرب إفريقيا ، توفي عام 1584م[1] .

كما أن حركة التأليف و المعرفة ازدهرت في كثير من البلاد ، وظهر العلماء و الفقهاء الذين تولوا مناصب عليا في سنغاي و خاصة في مجال الفقه و التفسير و الحديث و اللغة و الفرائض و الأحكام الشرعية فانبثقت حضارة إسلامية متطورة ونامية أخذت بأسباب الرقي و التقدم و التحضر [2].

1_ نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 38 .

2_ عبد الفتاح الغنيمي ، المرجع السابق ، ص 118 ، 119 ، 120 .

الفصل الثالث

إنجازات الاسكيا محمد الكبير ونهايته

1 -رحلة الاسكيا محمد الكبير إلى الحج.

أ- التوجه إلى الأراضي المقدسة.

ب- تلقبه بأمير المؤمنين .

ت- إلتقائه بجلال الدين السيوطي .

2- فتوحاته

أ- مدينة كاغ.

ب- غزوة زنفري.

ت- مملكة الموسي.

ث- إقليم مالي.

ج- بلده برك.

ح- بلدة كلينوت ملى.

خ- بلدة باغن فرن.

د- غزوة لازار.

ذ- غزوة آقدز.

ر- بلدة غوبر.

3- نهاية الاسكيا محمد الكبير وخلفاؤه.

أ-إقصاؤه من الحكم ونفيه .

ب- خلفاؤه.

1 – رحلة الأسكيا محمد الكبير إلى الحج :

أ– التوجه إلى الأراضي المقدسة.

بعد أن أكمل أسكيا الحاج محمد رأب الصدع في الداخل و أمن جزءا من بلاده بالسيطرة على (زاغ)،على يد أخيه (كرمني فاري عمر مزياغ) ، و قاتل (بكرمغ)كان ذلك أواخر تسعة و تسعين و ثمان مئة 899 هـ/1493م و في السنة الثانية من القرن العاشر 902 هـ/1469 م ، توجه للأراضي المقدسة [1].

أخذ مرافقيه من كافة قبائل المملكة بأن أصطحب معه من كل قبيلة أعيانها ، وكان موكب الحج يتألف من ألف و خمسمائة رجل ، وخمسمائة فارس وألف رجل منهم (إبن الأسكيا الحاج محمد) موسى و (هك كري وكري علي فلن) و الفقيه (ألفا صالح جور) و (ألفا محمد تل) ، و (محمود كعت) صاحب تاريخ الفتاش و غيرهم وقد كان مع أسكيا الحاج محمد ثمانمائة عبد ، وحمل معه ثلاثمائة ألف ذهبا ، أخذها من عند الخطيب عمر من مال سني علي [2].

شق ركب أسكيا الحاج محمد طريقه ، عبر الأراضي الليبية مرورا بمدينة غدامس ، وطرابلس و المنطقة الشرقية من ليبيا ، إلى أن دخل الأراضي المصرية مرورا بالإسكندرية و القاهرة ومنها إلى الأراضي المقدسة ، وهو الخط المعتاد نفسه ، الذي سلكه الملك منسا موسى ملك مالي قبله .

كان ركب أسكيا الحاج محمد يستريح من عناء السفر ، كلما دعت الحاجة ، وخاصة في الليل ، حيث ينام الركب استعدادا ليوم جديد [3].

وقد أورد كعت قصة مفادها أنه عندما نزل ركب أسكيا الحاج محمد بأرض الإسكندرية ، وناموا هناك استيقظ الفقيه (ألفا صالح جور) في آخر الليل لصلاة النافلة ، فسمع نفرا من الجن فقصدهم و إذ به شمهروش و طلابه ، كانوا راجعين من الحج يقرأون الكتاب فسلم عليهم و لحق به (ألفا محمد تل) وابنه (موسى ألفا

1_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 72 .

2_ نفسه ، ص 73 .

3_ الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 126 .

صالح) ، ودار حديث بين الفقيهين و شمهروش وقد سألهم شمهروش من أنتما ؟ فأخبراه أنهما من قوم أمير المؤمنين أسكيا محمد ، خرج و خرجنا معه حجا فكبر شمهروش،وقال أن أسكيا محمد رجل صالح سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول :"الخلفاء اثني عشر" خليفة ، كلهم من قريش ، وأظن أنه منهم ، مضى عشرة منهم ، وبقي اثنان فلعله الحادي عشر و سيأتي آخرهم في القرن الثالث عشر و قد قال النبي صلى الله عليه وسلم إنما أعيش إلى تاسع القرون ، وأوافق الحادي عشر من الخلفاء ، ثم يحكم بين الجن و الإنس ، وحينئذ أتوقع الموت ، فقالوا : هل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال نعم وقرأت عليه فاستبشروا بذلك و بينما هم كذلك ، إذ حضر له عبد جني و قال لهم : إن رعاياكم ضربوا غلامنا حتى أغمي عليه ، فإنا دعوناكم إلى الشريعة ، فسأله الفقيه "ألفا صالح جور" ، كيف ضرب غلامنا رعاياكم ونحن لا نراكم ؟ و قال العبد : إن الغلام تبدل في صورة حية ، قال : شمهروش أميرهم من تبدل عن صورته دمه مهدورا ، ثم قاموا يودعونهم ، ورجعوا إلى رفاقهم ومكثوا هناك ليلتين [1].

وقد أورد كعت أن هذه الرحلة كانت محفوفة بالمخاطر بأن بعضا من الرفقة ماتوا مثل (محمد كي اج) و الظروف الطبيعية أرهقت الركب، حيث هبت عليهم رياح عاتية ، في اليوم الثالث من تحركهم ، وقد ذكر كعت فلما ارتحلنا من هناك سرنا ثلاثة أيام مجدين ، فلما كان اليوم الثالث ، هبت رياح شديدة الحرارة حتى يئس من في الرفقة من الحياة إلا القوي الإيمان ، ونشف ، ما في القرب من الماء جميعا [2].

وقد أورد عبد الرحمان السعدي بأن أسكيا محمد أمير المؤمنين أمر غلاما له يقال له "فرجل" أن يذهب إلى العالم ألفا صالح جور و طلب منه أن يدعو الله بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم في السقي فهم فزجر المرسول أشد الزجر و قال حرمته أعظم من أن يتوسل بها في حاجة دنيوية [3].

1_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 66 ، 67 .

2_ نفسه .

3_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 72 ، 73 .

وقد أفاد كعت بأن العالم " ساعتئذ توجه إلى القبلة أنا عطشنا و أنت أعلم بحالنا منا ... حتى سمعنا رعدا فصار الماء نهرا طوله مائة رمح ، ثم أخذ الأمير أسكيا يوزع التمر ، ونسي العالم ألفا محمد تل ... فجاء الأمير أسكيا محمد ، فأكب بين يديه يقبل يديه و رجليه ، ويعتذر إليه النسيان ..."[1].

توجه الركب إلى الأراضي المقدسة ، وعند وصوله أدى فريضة الحج وزار و تصدق أسكيا محمد في الحرمين من ذلك المال بمائة ألف ذهبا [2].

و أشترى جنانا في المدينة المشرفة و حسبها على أهل التكرور ، كما أنفق مائة ألف ، و اشترى بضائع من هناك[3] .

ب- تلقبه بأمير المؤمنين :

توجت الرحلة بتنصيب أسكيا الحاج محمد خليفة للمسلمين ، في أرض السودان ، وأكد ذلك عبد الرحمان السعدي ؛ وكعت من أن شريف مكة قام بتقليد ومبايعة الأسكيا محمد خليفة بلاد التكرور، وقد قال عبد الرحمان السعدي فطلب منه أن يجعله خليفة في أرض سنغي فرضي له بذلك ... وجعله خليفته ، وجعل على رأسه قلنسوة و عمامة من عنده فكان خليفة صحيحا في الإسلام [4].

أما محمود كعت فقال : "وأما الشريف الحسني مولاي العباس ، فكان مع أمير المؤمنين و خليفة المسلمين أسكيا الحاج محمد جالسا بحذاء الكعبة يتحادثان ، فقال له الشريف مولاي العباس : ياهذا أنت الحادي عشر من الخلفاء و الذين ذكرهم الرسول صلى الله عليه و سلم ، ولكنك جئتنا ملكا و الملك و الخلافة لا يتفقان ، فقال له كيف ذلك يا سيدي ؟ فقال له مولاي العباس لا سبيل إلى ذلك إلا أن تخرج عما أنت فيه ، فأذعن له أسكيا طوعا ، وطرد جميع الوزراء عنه ، وجميع آلات السلطنة و أمواها ، و جعل ذلك كله بيد العباس و قعد

1_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 68 .

2_ محمد فاضل علي باري ، سعيد إبراهيم كريدية ، المرجع السابق ، ص 125 .

3_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 73 .

4_ نفسه .

عازلا لنفسه، و دخل مولاي العباس في الخلوة ثلاثة أيام، ثم خرج يوم الجمعة، ونادى أسكيا الحاج محمد،وأجلسه بمسجد البلدة الشريفة ؛ وجعل على رأسه قلنسوة خضراء و عمامة بيضاء ؛ وأعطاه سيفا ، وأشهد الجماعة الحاضرين أنه خليفة بأرض التكرور ، وأن كل من خالفه في تلك الأرض ... فقد خالف الله تعالى و رسوله[1] .

ت- الالتقاء بجلال الدين السيوطي :

غادر ركب أسكيا الحاج محمد الأراضي المقدسة ، فمر على القاهرة و التقى بالشيخ عبد الرحمان جلال الدين السيوطي [2].

وقد دار بينهما حديثا مفاده أن أسكيا الحاج محمد سأل السيوطي عن الخلفاء الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأجابه اثنان بمصر و واحد بالشام و اثنان بالعراق ، وقد انتهوا جميعهم ،و بقي اثنان بأرض التكرور أنت أحدهما ويأتي بعدك الثاني ، وسأل أسكيا الحاج : هل يخرج من صلبه من يقيم الدين و يصلح أمره ؟ فأجابه بأنه يأتي رجل صالح اسمه "أحمد" يظهر العدل و الصلاح و الجود ، و التقى و الزهد و النصرة في بعض جزائر (ماسنة) ، يسبقك بكونه متبحرا في العلوم ، وأنت لا تعلم إلا الأحكام ، و الصلاة و الزكاة و الاعتقادات ، وهو آخر الخلفاء المذكورين، ثم سأل أسكيا :هل هذا الخليفة يجد الدين خامدا فيوقده ؟ فأجابه بأنه كشرارة حجر ، فينصره الله على جميع الكفار وعند عودته ألف له علماء مصر بما فيهم السيوطي ، كتابا اسمه "تواليف ووصايا" [3].

1_ الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 131 .

2_ كامل محمد الصاوي ، المرجع السابق ، ص 118 .

3_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 12 .

وقد أورد كعت على لسان أسكيا الحاج محمد لإبنه إسماعيل الذي أعاد أباه من منفاه إذ قال أسكيا الحاج محمد ، أن شريف مكة الذي هو أميرها قال له: "أنت أميري و نائبي و خليفتي في إقليمك " فرد عليه أسكيا الحاج محمد :"وأنت أمير المؤمنين وأنا خليفة و أميره و نائبه " فكلمة خليفة بمعنى نائب [1].

عاد أسكيا الحاج محمد و ركبه ، بعد أن قضى فترة من الزمن بمصر ، قابل فيها رجال الدولة و العلم ، منهم العالم جلال الدين السيوطي الذي أحضر أسكيا الحاج محمد أحد أفراد أسرته قصد التبرك به .

وفي طريق عودة أسكيا الحاج محمد ، مر على مدينة تيجدا غرب الأبار : حيث يقيم العالم (محمد بن عبد الكريم المغيلي) ، وقد دعاه أسكيا الحاج محمد إلى مدينة جاو ولبى الطلب [2]، رجع أسكيا محمد إلى بلاده وكله حماس لنشر الدين الإسلامي ، فوسع رقعة مملكته التي شملت جل أقاليم السودان الغربي [3].

وأورد الوفراني عن رواية نصيحة أهل السودان " ... فرجع إلى السودان ، فنصر السنة و أحيا طريق العدل ، وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده ، وملبسه ، وسائر أموره ، ومال للسيرة العربية و عدل عن سيرة العجم فصلحت الأحوال".[4]

وقد أورد كعت أن الأسكيا الحاج محمد ، قد استن سنة حميدة ، أصبحت لزاما على من جاء بعده ، حيث أعطى الحجاج السودانيين من أهل سنغاي مكانة خاصة ، في مراسيم البلاط الملكي ، فكان يستقبل بنفسه الحجاج العائدين ، خارج العاصمة جاو ، ولا يدخلون إليها إلا بعد مشاورة الأسكيا و استئذانه ، وبعدها يخرج لهم الأسكيا لملاقاتهم ، ويقدم لهم الهدايا و يتلقى منهم الدعاء [5].

1_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 86 .

2_ زكاري مايكور بما وبوبي كابوو يودي هادو وآخرون ، المرجع السابق ، ص 89 .

3_ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، المصدر السابق ، ص 12 .

4_ محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص 90 .

5_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 111 .

2 – فتوحاتـــــه :

لقد عاد أسكيا الحاج محمد من رحلة الحج متوجا بلقب أمير المؤمنين ، وأعطته هذه الميزة هيبة ، ودفعا قويا إلى توسيع رقعة بلاده ، وتأديب الخارجين عن نطاق حكمه ، و الرفع من ميزانية مملكته فقام بنشر الإسلام بين الوثنين [1]، من جيرانه الماندنجو و الفولاني في الغرب ، و الطوارق و البرابر في الشمال ، و الموسى في الجنوب و الهوسة في الشرق [2].

أ– مدينة كاغ :

دخل الأسكيا محمد في ذي الحجة مكمل السنة بلاد كاغ ، بجيشه الذي أعده الإعداد الجيد ، وانتصر على خصمه ، وفتح الله عليه من أرض كنت إلى البحر المالح (المحيط الأطلسي) في الغرب و ما جاورها من أراضي بندك إلى تغاز منجم الملح ، و المعدن الاستراتيجي وما جاورها ، وقد أورد عبد الرحمان السعدي على أن أسكيا محمد فتح هذه المناطق بحد السيف في قوله :"فطوع الجميع بالسيف و القهر "[3].

ب– غزوة زنفري :

قام الأسكيا محمد بغزو ملك زنفري ، و السيطرة على أراضيه و ضمها إلى ممتلكاته [4].

ت – مملكة الموسي :

في السنة الرابعة 904 هـــ/1498م خرج أسكيا الحاج محمد ومعه جمع من العلماء من بينهم الفقيه "ألفا صالح جور"،الذي يعتقد فيه أسكيا محمد أيما اعتقاد،وأورد السعدي أن" ألفا صالح"طلب من أسكيا محمد أن تكون هذه الغزوة جهادا في سبيل الله ، وبذلك عليه أن يطبق كافة أحكام الجهاد [5]، فأذعن أسكيا محمد

1_ شوقي عطا الله الجمل ،عبد الله عبد الرزاق ، المرجع السابق ، ص 23 .

2_ يحي بوعزيز ،تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين ، دار هومة ، الجزائر ، 2001 م ، ص 39 .

3_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 73 .

4_ الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 174 .

5_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 74 .

و أرسله إلى خصمه ، وعندما وصل ألفا صالح إلى ملك موسى ، وعرض عليه الإسلام طلب ملك موسى من رسول أسكيا محمد أن يستشير الإله ، فأشار عليه الإله بالحرب و بذلك لم يجد أسكيا الحاج محمد بدا من إعلان الحرب على ملك موسى ، و انتصر عليه و دانت له بلادهم ، وسبا نسائهم ورجالهم ، ودخلوا السباية في الإسلام ، وكان ذلك في شهر رمضان المبارك [1].

ث- إقليم مالي :

جرد أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد جيشا إلى إقليم مالي ، حيث بدأ التدخل من بلدة (تندرم) التي تقع على الحدود الشمالية للملكة ، وانتصر عليها ، وكان ذلك في السنة الخامسة ، حيث قتل زعيمها "باغن فاري عثمان" ، و"دنب دنب الفلاني"[2].

وفي السنة السادسة غزا بلدة (إير)(إيورد) وانتصر عليها وفر حاكمها محمد بن تلظ ، وعندما غزا أسكيا الحاج محمد (إير) لأول مرة ، كان بها أبو بكر داعو سني علي مع أنصاره ، إلا أن جيش أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد ، لم يلق أي مقاومة تذكر من أبي بكر داعو و أنصاره ، وربما كانوا قليلين جدا ، حيث أستطاع جيش الأمير أسكيا الحاج محمد اجتياح عاصمة مالي نفسها[3] .

وقد أورد طرخان بهذا الشأن أن عاصمة مملكة مالي السابقة ، خربت أكثر من مرة [4].

وفي السنة السابعة كون لأخيه عمر جيشا ، وبعثه إلى زلن على أمل فتحها ، إلا أن سلطان (كلي) كان على درجة من الاستعداد و القوة فانتصر على عمر ، وكاد أن يفني أتباعه ، فأرسل عمر على الفور لأخيه أسكيا الحاج محمد جيشا و سار به نحو زلن لمساندة عمر ، ونزل بجيشه في بلدة (تنفرن) ، ونازل

1_ عبد الرحمان زكي ، المرجع السابق ، ص 139 .

2_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 74 .

3_ عبد القادر زبادية ، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493 – 1591)**، ص 38 .

4_ إبراهيم طرخان ، **دولة مالي الإسلامية** ، ص 117 .

سلطان مالي وانتصر عليه ، وفي هذه المعركة كان أمير المؤمنين معه زوجته أم موسى ، فولدت له في تنفرن موسى و لقب بتنفرن[1].

بعد ذلك تحرك إلى كاشنة و زلن ، وخربها ، ودمر مقر الأسرة الحاكمة و أسرها ،وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمان السعدي :"بعث أخاه عمر مزياع إلى زلن ليقاتل (فتى قلي) قائد سلطان مالي الذي على البلد ، فامتنع منه ما نال منه نيلا فأرسل الخبر للأمير أسكيا ... فجاء الأمير بنفسه فقاتله و غلبه، وخرب البلد، ورفع دار سلطان ملي وسبا أهله ...فتأخر هنالك حتى أصلح البلد، ووضعه على غير وضعه الأول: ثم رجع"[2]

فقد استعان أسكيا الحاج محمد بالمغيلي من أجل نصرته حينما سأله عن "بعض المسلمين في شرقنا و غربنا سمعوا بي ، وطلبوا أن يدخلوا تحت طاعتي ، فهل لي أن أجيبهم إلى ذلك ؟ أو نقف على حكم بلادنا ، التي أورثنا الله عن سني علي ".[3]

فأجابه المغيلي بالإباحة له قائلا :" ليس من المنكر قتل الظلمة ، والمفسدين و أعوانهم ، ولو كانوا يصلون و يصومون و يزكون و يحجون فقاتلوهم ، ولو قتلوا منكم كثيرا ، وقتلتم منهم كثيرا"[4].

ج – بلدة برك :

في السنة الحادية عشر جهز أسكيا الحاج محمد ، الجيش الذي بقي بعده سنتين ، وتحرك به صوب بلدة برك و كان يرى أن فتحها أمر هين ، ولكن حدث العكس ، فوجد أسكيا الحاج محمد أن أرضها نارا تتلظى تحت أقدامه ، وتجرع فيها كأس الهزيمة الذي لم يتجرعه من قبل ونهبت جارية زاركن بنكي أم موسى بن الأسكيا ، ومات خيرة رجال الأسكيا ، وقد تأثر عمر شقيق الأسكيا لهذا الموقف وعاتب الأسكيا على

1_ حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 227 .
2_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 75 .
3_ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، المصدر السابق ، ص 51 .
4_نفسه .

الوضع الذي هم في فيه ورد عليه الأسكيا بروح القائد ، الذي لا تؤثر فيه الصعاب بقوله :"وهل ترضى أن يعيش معنا هؤلاء"[1] وفعلا فإن أسكيا محق في كلامه فبرك كانت على الوثنية وهي من أرفع القبائل .

لكن الأوضاع تغيرت في آخر المعركة و انتصر أسكيا الحاج محمد بعد أن فقد جزءا من جيشه [2].

ح- بلدة كلنيوت ملي :

تحرك جيش أسكيا الحاج محمد صوب بلدة ملي، وكان ذلك في السنة الثالثة عشر و انتصر عليها ، إلا أن شبح هول الحرب السابقة كان لا يزال في مخيلته ، فتوقف عن الجهاد من السنة الرابعة عشر حتى نهاية السنة السادسة عشر ، وهي فترة ثلاث سنوات ، ويبدو أنه شعر بأن جيشه مازال يعاني من مشاكل داخلية ، كما أنه لم يستفد من أخطائه السابقة [3].

خ- بلدة باغن فرن :

دخل جيش أسكيا الحاج محمد بلدة باغن فرن ، في السنة السابعة عشر بعد ثلاث سنوات من الراحة ، وكان على رأس جيشه (كري كي) و "علي فلن" و "بلمع محمد كري"، ويقودهم"فت كيتا" وقد دخلوها سلما [4].

د- غزوة لازار :

كان سبب غزو أسكيا الحاج محمد (لازار) أنه خرج من هذه المنطقة من يدعي النبوة ، وهو اللعين (نيض) ، فقصده أسكيا الحاج محمد بجيشه في السنة الثامنة عشر (بفوتا) وقتله في آزار ، وكان ابن اللعين خارج البلدة و عندما سمع بمقتل أبيه ، فر مع من معه من جنده إلى فوت و سكن بها [5].

1_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 69 .

2_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 77 .

3_ نفسه .

4_ نفسه .

5_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 76 .

ذ- غزوة أقدز :

كانت أقدز تمثل مركزا حضاريا و اقتصاديا، تأسست في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، وازدادت أهميتها في القرن التاسع الهجري، الخامس العشر ميلادي بأن ارتادها عدد كبير من التجار [1]

وقد جرد إليها أسكيا الحاج محمد جيشا و دخلها بمساعدة سلطان ليك (كت) ، وقد انتصر عليها ودانت له ، واستفاد من خيراتها ، وقد غنم الكثير منها ، وكان ذلك في آخر السنة الحادية و العشرين ، وأورد السعدي أن الخلافات بين أسكيا الحاج محمد ، وسلطان نيك على تقسيم الغنائم أدت إلى حرب بينهما [2].

ر- بلدة غوبر :

قام أسكيا الحاج محمد بغزو بلدة غوبر ، واستولى عليها ، و طرد ملكها و عين واليا عليها يتبعه و فرض على سكانها الضرائب و جلب معه نصف سكانها أسرى ، وأستخدم بعضهم كعبيد [3].

توسعت مملكة سنغاي نتيجة الفتوحات التي قام بها أسكيا الحاج محمد من أجل الحفاظ على مملكته ولذلك زادت رقعتها عن رقعة إمبراطورية مالي و امتدت حدودها إلى المغرب الأقصى كما شملت شرقا بلاد الهوسا و اتصلت بأراضي سلطنة بورنو بعد مواجهة مباشرة بين (علي جاجي) حاكم برنو و أسكيا الحاج محمد أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي حتى بداية العاشر هجري السادس عشر ميلادي ، وكان سبب النزاع الزعامة الروحية في منطقتي السودان الغربي و الأوسط ، وكذلك محاولة أسكيا السيطرة على الطرق المؤدية للشرق ، وإحلال سنغاي مكانة إمبراطورية البرنو الروحية في القاهرة ، و السيطرة على الثروة الزراعية و الحيوانية [4].

1_ Humwick J.D , **transaction of the historical journal of Ghana** , vol 5 , 1964, p27 .

2_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 78 .

3_ الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 171 .

4_ عبد الكريم كريم ،**المغرب في عهد الدولة السعدية** ، شركة الطبع و النشر ، الرباط ، 1977 م ، ص 147 .

بالإضافة إلى اتصالها بجزء من الصحراء في الشمال ووصلت في الجنوب و الشمال الغربي إلى بلاد التكرور و بذلك جاوزت حدود إمبراطورية مالي بحوالي سبعمائة ميل [1].

وهكذا استطاع الأسكيا الحاج محمد أن ينشر الأمن و السلام في جميع ربوع مملكته الشاسعة الأرجاء [2].

3 – نهاية الأسكيا الحاج محمد :

أ – إقصاؤه من الحكم ونفيه:

منذ سنة 1517م كان الحاج محمد الأول قد بلغ به الكبر مبلغه فتوقفت فتوحاته ولكنه بقي يراقب مملكته في صبر و تأن ، وصادف في هذه الأثناء مرض بعينيه سنة 1518 م حتى أنه فقد بصره [3] .

كما أن رفقاؤه منذ البداية شاخوا أيضا ، فتوقف الجميع عن ذلك الحد من الانجازات [4].

فرغم هذا المجد الشامخ ، الذي بناه أسكيا الحاج محمد على أكتاف رجال مملكة سنغاي ؛ إلا أن نهايته كانت جد مؤثرة بإقصائه من الحكم على يد إبنه الأكبر موسى بطريقة تنم عن انحطاط في سلوكيات أسرة الأسكيا ، بأن أجتاح يوم عيد الأضحى مجلس والده ، وهو يستعد لصلاة العيد ، و أجبره على التنازل عن الحكم قبل الصلاة ؛ وأقسم ألا يصلي أحد حتى يتولى الحكم ، فتنازل له والده عن الحكم ، وقد كانت أول خطوات حكم أسكيا موسى ، نفي والده إلى جزيرة نائية مليئة بالأوساخ من ناموس و ضفادع ، بعد أن قضى فترة من الزمن يحكم مملكة سنغاي [5].

وبعد استقرار الحكم لأسكيا موسى ، سمح للأب أن يرحل منفيا إلى مدينة جاو ، بشرط أن يعيش داخل قصره و لا يخرج منه أبدا ، إلى أن توفي الأسكيا و هي بداية اضمحلال مملكة سنغاي [6].

1_ عطية مخزوم الفنتوري ، المرجع السابق ، ص 307 .

2_ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص 112.

3_ نياني ج.ت ، المرجع السابق ، ص 207 .

4_ عبد القادر زبادية ، **مملكة سنغاي في عهد الاسقيين (1493–1591)** ، ص 40 .

5_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 78 .

6_ جوزيف جوان ، المرجع السابق ، ص 85 .

وقد اختلف المؤرخون في السنوات التي قضاها ، فكعت يذكر أنه مكث تسع وثلاثين سنة ، وفي رواية أخرى ثلاثا و أربعين [1].

أما السعدي ... فقد ذكر أن مدة حكمه ، ست وثلاثون سنة و ستة أشهر [2].

ب- خلفاؤه :

لما تولى أسكيا موسى الحكم قام بقتل كل من ينازعه العرش وقد لقي إخوته نهاية دموية ، واستولى على حريم عمه [3].

لكن حكمه لم يدم طويلا و ثار إخوته ضده بعد حكم لم يتجاوز واحد وعشرون شهرا ومات مقتولا عام 1531 م [4].

وقد خلفه أسكيا محمد الثاني الذي حكم من عام (1531-1537م) حيث بايعه سكان مدينة منصور في إقليم جني بعد مقتل موسى مباشرة و استطاع أن يقضي على الصعاب خلال فترة حكمه ، وكان يحب مظاهر الفخامة ، وقد توفي هو الآخر مقتولا من طرف أخيه إسماعيل [5].

وقد خلفه إسماعيل (1537-1539م) الذي حكم لمدة عامين و اشتهر بشجاعته ، وقد قاد حملة ضد الوثنيين في الجنوب الغربي من المملكة ، وقد انتشر في عهده مرض الطاعون الذي فتك بأعداد كبيرة ، وقد توفي وهو يقاتل الوثنيين ، وبعد وفاته عام 1539م عاد الجيش إلى جاو ليختار ملكا يخلفه ووقع الاختيار على أسكيا إسحاق الأول [6].

1_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 78 .

2_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 81 .

3_ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 81 .

4_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 86 .

5_ عبد الرحمان زكي ، المرجع السابق ، ص 144.

6_ عبد القادر زبادية ، **مملكة سنغاي في عهد الاسقين (1493-1591م)**، ص 43 .

وقد خلفه إسحاق الأول (1539-1549م) و يعتبر إسحاق الأول أحد أهم الملوك الذين حكموا سنغاي في عهد الاسكيين حيث استطاع إعادة الأمن إلى نصابه ، كما قام بعدة فتوحات في أملاك مالي وكتب إليه السلطان السعدي أحمد الأعرج يطلب منه تسليم تغازة للمغرب و كان ذلك في عام 1546 م فأجابه :"لست إسحاق الذي يلبي طلبك انتظر حتى يولد إسحاق آخر" ، توفي عام 1549م [1].

وقد خلفه أسكيا داوود (1549-1582م) الذي يعتبر من أبرز الملوك و أشتهر بحنكته السياسية و طول فترة حكمه و هو يلي أسكيا محمد الكبير في حسن الإدارة و بعد النظر و تحديد دماء الدولة، ونجح إلى حد كبير في دعم سلطات الدولة الداخلية ، إذ لم تحدث أية ثورة ضده طيلة حكمه الطويل، وقد رأى منذ البداية مسالمة المغرب لمعرفته بأهداف المغاربة و عدم قدرة جيشه على محاربتهم و تمكن من عقد هدنة مع السلطان المراكشي بشرط أن تدفع مراكش لسنغاي عشرة آلاف أوقية من الذهب نظير استئجار مناجم تغازة في العام [2].

و بعد وفاته خلفه إبنه الأسكيا محمد الثالث (1582-1586م) وحدث في عهده أن جاءت بعثة مغربية تحمل هدية خاصة من السلطان أحمد المنصور وكان الغرض منها التجسس على أحوال مملكة سنغاي و أستقبلها أسكيا محمد بكل ترحاب و أرسل معهم هدية للسلطان السعدي ، وفي آخر عهده أرسل السلطان حملة تتكون من مائتي فارس فقط ، احتلت مناجم تغازة و لكنهم تركوها بعد ذلك [3].

وتولى بعده أسكيا إسحاق الثاني (1586-1591م) الذي حكم سنغاي وهي في غاية الضعف لا لفقرها و قلة مواردها و سكانها بل لأنها منذ وفاة مؤسسها ، لم يستقر فيها نظام و لم يعمل أحد على تقويتها

1_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 99 .

2_ عطية مخزوم الفيتوري ، المرجع السابق ، ص 310 .

3_ عبد الرحمان زكي ، **الإسلام و المسلمون في غرب إفريقيا** ، جزئين ، مطبعة يوسف ، الاسكندرية ، 2001 م ، ج 2 ، ص 53 .

كما أنهكتها الحروب ، وعند توليته الحكم غار عليه حاكم تمبكتو و قضى إسحاق سنة كاملة في محاربة هذا الثائر،وقد واكب ذلك أن أصيبت المملكة بآفات خلقية مستعصية جعلتها لقمة سائغة للتوسع المراكشي [1].

وفي هذا الصدد يقول السعدي عن أهل سنغاي :"... إنهم بدلوا نعمة الله كفرا وما تركوا شيئا من معاصي الله تعالى إلا ارتكبوها جهرا".[2]

1_ عطية مخزوم الفيتوري ، المرجع السابق ، ص 310

2_ عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 44 .

الخاتمة

حسب المعطيات المتوفرة لدينا، فقد توصلنا إلى عدد من الاستنتاجات والنتائج والرؤى.

* أن دولة سنغاي تأسست في القرن السابع الميلادي من قبل قبائل سنغاي التي كانت تقيم على الضفة اليسرى لنهر النيجر.

* تروي المصادر أن أصول ملوكها يرجع إلى اليمن جاءوا إلى السودان الغربي ربما عبر هضبة الحبشة بعد عبورهم البحر الأحمر زمن "فرعون" و"موسى"- عليه السلام -

* أتخذ الملوك من أول أسرة ملكية من سنغاي لقب "زا" و يقال "ضياء" وكان أول ملوك سنغاي هو "زا الايمن".

* دخلها الإسلام في القرن الرابع هجري الحادي عشر ميلادي ، عندما دخل ملكها في الإسلام حينذاك طواعية، على يد المرابطين وعبر النشاط التجاري.

* بدأت المرحلة الحاسمة في تاريخ سنغاي حينما أعتنق أحد ملوكها الإسلام ويدعى "زاكسي" ومنذ ذلك الوقت بدا الإسلام ينتشر بين الأهالي والقبائل على نطاق واسع.

* نقل "زاكسي" حاضرة بلاده إلى العاصمة جاو، وذلك لمكانتها الممتازة وكونها تتوسط المملكة وتكون على مقربة من طرق القوافل المهمة التي تصل المغرب ببلاد السودان.

* خضوع سنغاي للسيطرة المالية في عهد منسا علي(653-669 هـ/1250-1270م)باستثناء العاصمة جاو التي امتنعت على جيوشه وأخذ منسا علي ولدي ملك سنغاي زاياسي وهما:"علي كولن"و"سلمان نار".

* بعد وفاة منسا علي مرت دولة مالي بفترة من الاضطراب السياسي وتمكن الرهينتان:"علي كولن" و"سلمان نار" من الفرار والتوجه إلى مدينة جاو.

* استيلاء "ساكورة" على الحكم وهو أعظم حكام دولة مالي، وتمكن خلال فترة حكمه من الاستيلاء على العاصمة جاو التي امتنعت عن أسلافه.

* خرجت مملكة سنغاي عن طاعة مالي مرة أخرى لكن منسا موسى أرسل حملة وسيطر على العاصمة جاو وقام باستعادة الرهائن وإحكام الرقابة عليها.

* إسترجعت سنغاي حريتها وأصبحت تحت حكم علي كولن وأضحت كلمة "سني" لقبا يستعمله ملوك مالي بدلا من لقب "زا" الذي كان مستعملا من قبل.

* تمكن"سني علي"من الاستيلاء على الحكم وأخذ على عاتقه توسيع رقعة بلاده بتكوين جيش قوي،من مختلف شرائح المجتمع السوداني كان على رأسهم إبنه"أبو بكر داعو"وإبن خالته"أبو بكر التوري" (أسكيا الحاج محمد).

* تمكن "سني علي" من فتح مدينة جني وقد ركز عليها باعتبارها مدينة العلم والصلاح أما من الناحية الاقتصادية فهي ملتقى طرق القوافل وسوق لأهم معدنين في السودان الغربي وهما: الذهب والملح.

* كما أنه سيطر على تنبكت وفتح جنج وير وأراضي صنهاجة، وأراضي كنت، وقبيلة سنقير وحرر سنغاي من الماندينجو.

* وفاة "سني علي" عام 1492م حين كان عائدا من أحد غزواته وهي غزوة كرم.

* وصف "سني علي" بالظالم الفاجر المتسلط والفاسق من طرف السعدي ومحمود كعت، في حين يصفه شلبي بحسن الإدارة والتنظيم والقيادة.

* استلام "شي بار" أمر سنغاي بعد وفاة والده وكان ضعيف الشخصية وهو ما جعل أسكيا محمد يقوم بانقلاب ضده عن طريق الجند وتمكن من الاستيلاء على الحكم.

* كانت أول أعمال "الأسكيا الحاج محمد" لتنظيم دولته هي إنشاء نيابة للملك في تندرم وأسندها إلى أخوه"عمرمزياغ".

* إستحداث إدارة لجباية الضرائب وأنشأ الدواوين العسكرية والسياسية والإدارية وأقام حكومات إقليمية.

* تقسيمه المملكة إلى عدة ولايات تدين جميعها بالولاء لجاو العاصمة، وقد أسند كل ولاية إلى وال.

* إعادة بناء الجيش من خلال استخدام تكتيك عسكري متميز حيث أدخل فرقا من فرسان العرب المغاربة، ومن قبيلة الطوارق وجعلها في سلاح المشاة وأنشأ أسطولا من سفن التموين.

* تركيزه على الطوارق لامتيازهم عن غيرهم من قبائل وسكان الصحراء بالخفة والرشاقة وسرعة العدو ودقة التصويب بالنشاب والرماح.

* أما فيما يخص مجال القضاء كان هو أمير المسلمين ويفوض قاضيان، الأول يخضع للأحكام الإسلامية المستمدة من المذهب المالكي.

* مهام القاضي المتمثلة في الفصل في الأمور التي تتصل بحياة الناس اليومية وبناء المساجد وبناء المدارس.

* رواتب القضاة و أنواع العقاب التي يصدرها القاضي والتي تختلف باختلاف الذنب المقترف والتي تصل حتى إلى القتل في بعض الأحيان.

* أما فيما يخص الحياة الاقتصادية فقد كانت الزراعة هي الحرفة الرئيسية والمصدر الأساسي لعيش الغالبية العظمى لهذا أهتم بها "الأسكيا الحاج محمد" الذي ساهم في تطوير الإنتاج الزراعي، وإدخال أساليب جديدة لاستصلاح الأراضي وتحسين الحبوب ورفع معدلات الإنتاج.

* الاهتمام بالثروة الحيوانية فقد اهتم السكان بتربية الحيوانات الأليفة والاستفادة منها في حياتهم اليومية بالإضافة إلى أنواع الطيور التي كانت المنطقة تزخر بها.

* أما الصناعة فقد تمثلت في الثروة المعدنية المتمثلة في الذهب وخاصة الحديد أيام "الأسكيا الحاج محمد" لصناعة الأدوات الحربية.

* صناعة النسيج لتوفر المواد الأولية كالقطن والصوف والوبر بالإضافة إلى صناعة تجفيف السمك الذي يؤكل ويصدر للخارج وصناعة القوارب والسفن التي شهدت نشاطا كبيرا أيام "الأسكيا الحاج محمد".

* أما عن التجارة فقد تمثلت في قيام المراكز التجارية على أطراف الصحراء وكانت أهمها تنبكت وجنى وخاصة مدينة جاو عاصمة مملكة سنغاي أهم مركز للإتجار بالملح بالإضافة إلى حرفة الوراقين وتأليف الكتب على أيام "الأسكيا الحاج محمد" .

* أما على الصعيد الثقافي والفكري لم يدخر "الأسكيا الحاج محمد" وسعا أو وسيلة إلا اتخذهما لرعاية الأدباء والعلماء وإغداق النعم عليهم ومراتب الشرف، كما أنه شجع على فتح المدارس في تمبكتو التي أضحت مركزا مهما من مراكز العلم وموطنا مشهورا من مواطن الثقافة الإسلامية.

* ظهور البلغاء والشعراء ورجال الفكر أمثال: عبد الرحمان السعدي وأحمد بابا التنبكتي ومحمود كعت.

* رحلته للحج وبذل "الأسكيا الحاج محمد" كثيرا من الأموال وكان موكبه يفوق موكب ملوك مالي من حيث الأبهة والفخامة، وكان يصحبه في رحلة الحج القاضي محمود كعت، وفي الحرمين تصدق "الأسكيا " بمائة ألف قطعة من الذهب وأشترى في المدينة بساتين جعلها أوقافا لحجاج التكرور: كما تعرف أثناء رحلته على بعض العلماء أمثال: جلال الدين السيوطي.

* حصول "الأسكيا الحاج محمد" على لقب"أمير المؤمنين" من شريف مكة ومحاولة تزكيته من القاهرة حتى يضفي على نفسه الشرعية الروحية ويكون أمره مطاعا.

* لدى عودته من الديار المقدسة اتخذ حركة توسعية ذات مظهر إسلامي فأعلن الجهاد على قبائل الموسي الزنجية الوثنية وطلب من ملوكها الدخول في الإسلام أو دفع الجزية فلما أبو حاربهم وأنتصر عليهم.

* تمكنه من الانتصار على زعيم مالي:"فاري عثمان" وقام بغزو بلدة "أيورد" وأنتصر على سني بارو مع أنصاره.

* تمكنه من السيطرة على "زنن" بعد فشل أخوه"عمرمزياغ" كما أنه انتصر في غزوة برك بعد هزيمة شنعاء مات فيها خيرة رجاله.

* تمكنه من السيطرة على كلنبوت ملي وبلدة باغن فرن و لازار، وآقدز وبلدة غوبر.

* رغم المجد الشامخ الذي بناه "الأسكيا الحاج محمد" من أجل تطوير مملكة سنغاي إلا أن نهايته كانت مؤثرة بعد أن أرغمه إبنه الأكبر "موسى "على التنازل عن الحكم ومن ثم نفيه إلى جزيرة نائية مليئة بالأوساخ ليخلفه "أسكيا محمد الثاني" بعد مقتل "موسى" ثم جاء "إسماعيل" الذي حكم لمدة عامين ثم "اسحاق" وخلفه "اسكيا داوود" ومن بعده خلفه إبنه " أسكيا محمد الثالث" ليحكم أخيرا "أسكيا إسحاق الثاني".

في نهاية تطور طويل استغرق نحو ثمانية قرون، أقامت جماعات الصنغي التي كانت قد استقرت على ضفتي النيجر الأوسط في القرن الخامس عشر دولة قوية ووحدت جزءا كبيرا من السودان الغربي وأتاحت بذلك ازدهار حضارة رائعة بدءا من "زاكسي" الذي أعتنق الإسلام وهو ما أعطى دفعا قويا لبقية الأهالي والقبائل على اعتناقه وقد تأرجحت سيطرة مالي على سنغاي بعد وفاة "منسا علي" ليتمكن "ساكورة" من السيطرة عليها من جديد والسيطرة على العاصمة"جاو" لتخرج سنغاي عن طاعة مالي مرة اخرى ويتمكن "منسا موسى" من السيطرة عليها والسيطرة على العاصمة"جاو" مرة أخرى وقد كان التركيز على "جاو" لكونها تمثل ثقلا سياسيا، اقتصاديا واجتماعيا فهي التي تمثل قلعة المواجهة، وبها الزعماء وأصحاب رؤوس الأموال، ليستقر الأمر ل"سني علي" الذي عمل على تحويل دولته الصغيرة إلى إمبراطورية منيعة من خلال تنظيماته الإدارية وفتوحاته وقد بدأ بتنفيذ مخططه السياسي من خلال فتح جني باعتبارها مدينة العلم والصلاح وملتقى طرق القوافل التجارية كما أنه سيطر على تنبكت عام(873 هـ/1468م) وطرد منها الطوارق الذين أخرجوا قوات مالي منها عام1433م. وبعد وفاته جاءت مرحلة حاسمة في تاريخ سنغاي وهي فترة حكم "الأسكيا الحاج محمد" بعد الانقلاب الذي نجح فيه ضد "شي بار" وعزمه على إتمام ما بدأه"سني علي" فقد بلغت المملكة في عهده أوج ازدهارها فنظمت الإدارة وجهز الجيش ونظم القضاء، كما أنه اهتم بالجانب الاقتصادي حيث ساهم في تطوير الإنتاج الزراعي، وإدخال أساليب جديدة لاستصلاح الأراضي من أجل رفع معدلات الإنتاج واهتمامه بتربية الحيوانات المستأنسة كالإبل، أما فيما يخص مجال الصناعة فقد نشطت في عهده صناعة القوارب والسفن ليتعدى إلى التجارة وإقامة مراكز تجارية أهمها: جني وتمبكتو وخاصة "جاو"

عاصمة المملكة فهي أهم مركز للاتجار بالملح، وقد إهتم "الأسكيا الحاج محمد" بالحياة الثقافية من خلال تشجيعه للعلماء والاهتمام بهم والاهتمام بإقامة المدارس خاصة في مدينة تمبكتو وهذا ما ساعد على ظهور نخبة من رجال الفكر أمثال:" عبد الرحمان السعدي وأحمد بابا التنبكتي ومحمود كعت".وبعد أن قام بتنظيم أمور مملكته توجه للأراضي المقدسة وهناك لقب ب"أمير المؤمنين" ولدى عودته عزم على نشر الإسلام من خلال فتوحاته فأتسعت مملكة سنغاي في عهده لتمتد حدودها إلى المغرب الأقصى كما شملت شرقا بلاد الهوسا وأتصبت بأراضي سلطنة برنو وجزءا من الصحراء في الشمال ووصلت في الجنوب والشمال الغربي إلى بلاد التكرور، وبذلك جاوزت حدود إمبراطورية مالي بحوالي سبعمائة ميل. وبعد هذا المجد العظيم الذي بناه لمملكته قام أحد أبنائه بعزله ونفيه إلى جزيرة مهجورة لا يسكنها أحد وهو إيذان ببداية مرحلة جديدة في تاريخ سنغاي وهي مرحلة الاضمحلال بعد أن تولى إبنه "أسكيا موسى" الحكم الذي لقي حتفه نتيجة ظلمه وقهره وطغيانه ليخلفه"أسكيا محمد الثاني" وقد قتل هو الآخر من طرف أخيه "إسماعيل" الذي حكم لمدة عامين وبعد وفاته خلفه " أسكيا إسحاق الأول" الذي تمكن من القيام بعدة فتوحات في أملاك مالي وبعد وفاته خلفه "اسكيا داوود" الذي تشبه "بأسكيا محمد الكبير"في الدهاء والذكاء وحسن الإدارة حيث كان مساندا للسلطان المراكشي "أحمد المنصور السعدي" و بعد وفاته خلفه إبنه " أسكيا محمد الثاني" لتتصاعد الأحداث وتبلغ ذروتها في عهد "أسكيا إسحاق الثاني" لضعف مملكة سنغاي نتيجة الحروب والتسيير العشوائي وهذا ما جعلها لقمة سائغة للتوسع المراكشي.

الملاحق

- **الملحق رقم 01:** جزء من رسالة مولاي العباس إلى أمير مكة إلى أسكيا محمد الأول بخصوص إرسال ابن أخيه أحمد الصقلي إلى بلاد سنغاي.
- **الملحق رقم 02:** وثيقة الحرمة التي كتبها أسكيا محمد الكبير إلى أحفاد الشيخ – مور محمد هوكار–
- **الملحق رقم 03:** قائمة حكام سنغاي في فترة البحث.
- **الملحق رقم 04:** خريطة تبين تحديد "جوزيف كي زيربو" لمنطقة السودان الغربي.
- **الملحق رقم 05:** خريطة السودان الغربي كما رسمها "الحسن الوزان".
- **الملحق رقم 06:** خريطة مملكة "غانة" الإسلامية.
- **الملحق رقم 07:** خريطة مملكة "مالي" منذ نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري.
- **الملحق رقم 08:** خريطة مملكة "سنغاي" منذ نشأتها إلى نهاية القرن العاشر الهجري.
- **الملحق رقم 09:** خريطة إمبراطورية "سنغاي" قرب نهاية القرن السادس عشر الهجري.
- **الملحق رقم 10:** أحد مشاهد القبور المحفورة في مدينة "غاو" يرجع تاريخه إلى عام1100م.
- **الملحق رقم 11:**- مخطط مسجد "سنكوري" في مدينة "تمبكتو".
- **الملحق رقم 12:**- نموذج من أشكال المساجد في مدينة "جنى".

جزء من رسالة مولاي العباس إلى أمير مكة إلى اسكيا محمد الأول بخصوص إرسال ابن أخيه أحمد الصقلي[1] إلى بلاد سنغاي 925هـ.

وأعلم يا أخي أن أهل بيتنا ليس عليهم شيء من كلف السلطنة وقد أرسلت إليك ابن أخي هو كنفسي فإن كنت تستطيع أن تسقط تلك الكلف عنه وعن أهله فليقم عندك أو أتركه يرجع.

فقال الإمام محمد أسكيا الأول بعد قراءة البراءة فقد جعلنا ما هو أصعب من هذا لمن هو دونك فكيف لا نفعله لك.

ثم أمر كاتبه – علي بن عبد الله– أن يكتب له وثيقة في ذلك معلما كل واقف عليه من الولاة والقضاة والسادات أن لا يتعرضوا له ولا لرهطه الذين جاءوا معه ولا لأزواجهم وذرياتهم في شيء من أمور السلطنة ولو ضيافة.

ولهم شفاعة في كل شيء إلا النفس التي حرم الله وإن كان ما شفعوا فيه جناية فعلينا وعلى نوابنا أرشها أو في مال فعلينا ضمانه وكل من خالف هذا الأمر فلا يلومن إلا نفسه.[2]

---

[1]- هو أحمد بن عبد الرحمان بن إدريس بن أبي يغرى بن حسن ابن إبراهيم بن عبد الله بن عيسى بن إبراهيم بن عبد الرحمان عرف بزين العابدين بن حسن بن علي بن أبي طالب أنظر:محمد ألفا جالو،مذكرة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية،**الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة(842-1000هـ/1464-1591م)**،جامعة أم القرى: المملكة العربية السعودية،1992-1993م،ص 353.

[2]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 18.

وثيقة الحرمة التي كتبها أسكيا محمد الكبير إلى أحفاد الشيخ – مور محمد هوكار –

ونصه:" هذا كتاب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين السلطان العادل القائم بأمر الله أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر أدام الله عزه ونصره وخلد البركة في عقبه ومن وقف عليه بأيدي حملة حفدة الشيخ الفقيه الزاهد الصالح – مور محمد هوكار – وهم:

مور الصادق، مور حبيب، وإسحاق، وإنيارك ومحمد، ورسماك وعلي،وبلقاسم بن الفقيه مور معمع بن مور معمك ابن الفقيه مور محمد هوكار، رحمه الله ونفعنا بعلمه ودينه أمين.

ومن وقف عليه ممن يؤمن بالله واليوم الآخر وبرسالة رسوله صلى الله عليه وسلم، فليحترمهم ويوقرهم ويعرف مناقبهم وفضلهم وحرمة جدهم – مور محمد هوكار – ويمسك كل جائر وفاجر جوره وفجوره من جندنا وأهل جيشنا وخدمنا الجائرين وعبيدنا ورسلنا فلا يقربهم بضيم ولا بتحقير و بتصغير ومن تعرض لهم بسوء وظلم ينتقم الله منه على كذا.

ونوصي كل من تنسل منا من أولادنا وأحفادنا أن يبروا بهم ويحترموهم ويحسنوا إليهم، وقد أسقطنا جميع وظائف السلطنة وغرامته بحيث لا يطالبهم أحد بشيء حتى الضيافة وأن تعرض بينهم ظنة أو أدعى عليهم حقا فلا يحكم عليهم إلا أنا وحدي، أو من سيخلفني في هذا المقام من أولادي، ومن ظلمهم أو أخذ منهم أدنى شيئا ظلما باطلا من ذريتي لا بارك الله له في ملكه وفسد عليه ملكه وختم له بخاتمة السوء بحرمة الذي وقفت به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقمت في داخل شبكة روضته صلى الله عليه وسلم.

وكذلك أبحت لهم ولذرياتهم أن يتزوجوا في مملكتي كلها من "كنت" إلى "شردك" الذي هو الحد الحاجز بيننا وبين سلطان "مل" من كل نساء أحبوها ويكون أولادهم منها أحرارا وأمهاتهم تابعات لهم في الحرية. وقد حضر عند هذه الفريضة الفقيه " أبو بكر بن الفع علي كار بن الخطيب

عمر، وانفع عبد الله بن محمد الأغلالي، والعاقب بن محمد الشريف، وشهد به كاتبه — علي بن عبد الله بن عبد الجبار اليمني — ختم الله له بخاتمة الحسنى.

ثم أمر بأن ينادى كل من حضر هنالك من أولاده...وأحضروهم وأمر بقراءة الكتاب عليهم فقرئ عليهم وقالوا كلهم سمعنا وأطعنا.

ثم قال من سمع باسم هذا الكتاب أو رآه فلم يمتثل فلا يبارك الله له في نفسه وفي كل ما رزقه الله من ذرياته ثم أخذ الكتاب بيده وطواه وجعله في يد كبيرهم وهو مور الصادق إنتهى.[1]

[1]- محمود كعت، المصدر السابق، ص: 72.

قائمة حكام سنغاي في فترة البحث:

[1]سني علي الكبير	869 – 897 هـ.
* أسكيا محمد الأول أو الكبير	898 - 925 هـ.
* موسى بن محمد	925 – 928 هـ.
* محمد الثاني بنكان	928 – 943 هـ.
* إسماعيل	943 – 946 هـ.
* إسحاق الأول	946 – 956 هـ.
* داوود بن محمد	956 – 991 هـ.
* محمد الثالث بن داود	991 – 995 هـ.
* محمد الرابع بن داود	995 – 996 هـ.
* إسحاق الثاني	996 – 999 هـ.

[1]– محمود كعت، المصدر السابق، ص ص: 43، 44، 52، 78، 82، 83، 85، 87، 93، 119، 125، 134، 142، 146، 158.

*– عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص ص: 81، 86، 91، 95، 100، 113، 121، 125، 132، 133.

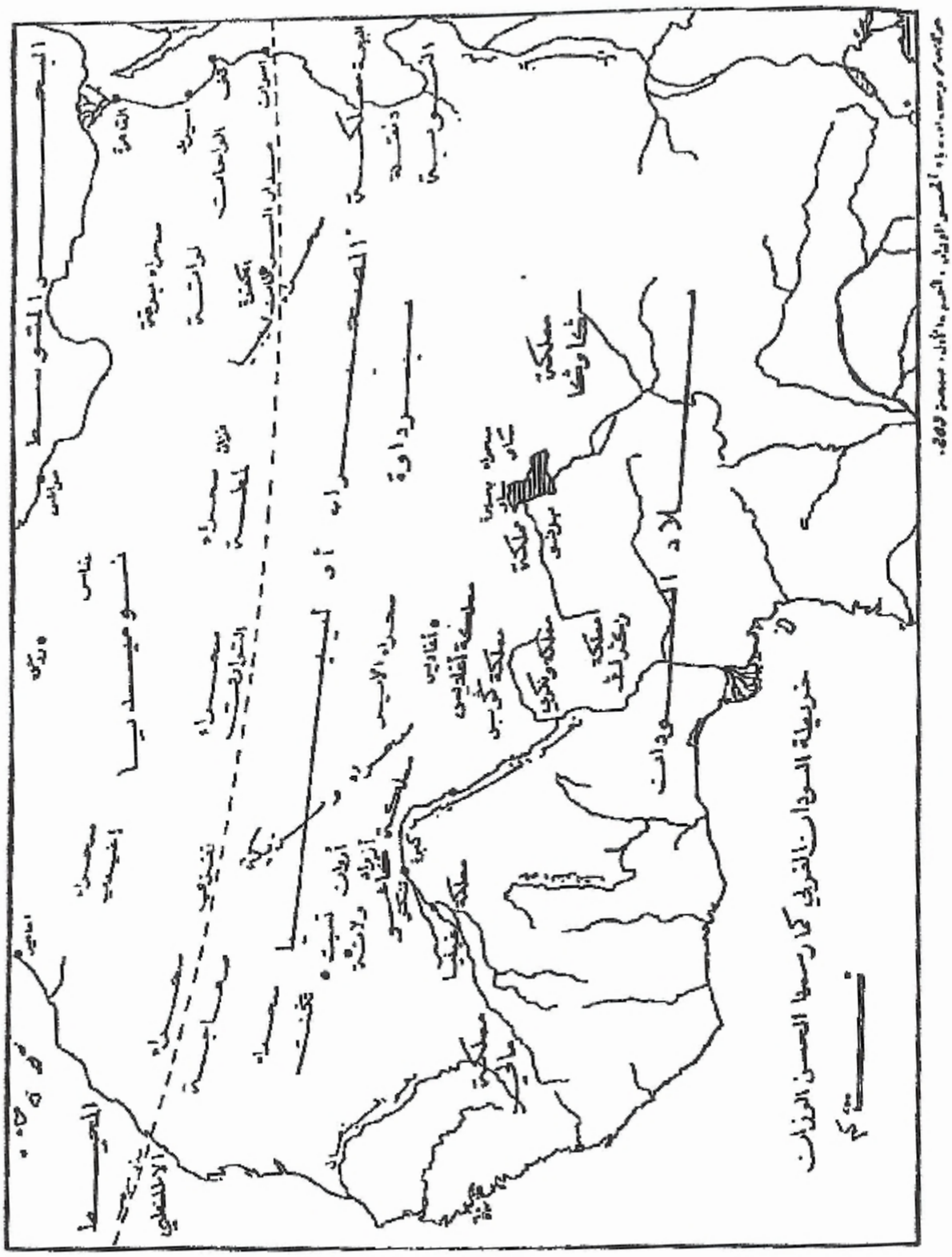

خريطة السودان الغربي كما رسمها الحسن الوزان [1]

[1] _ الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ،ص 362 .

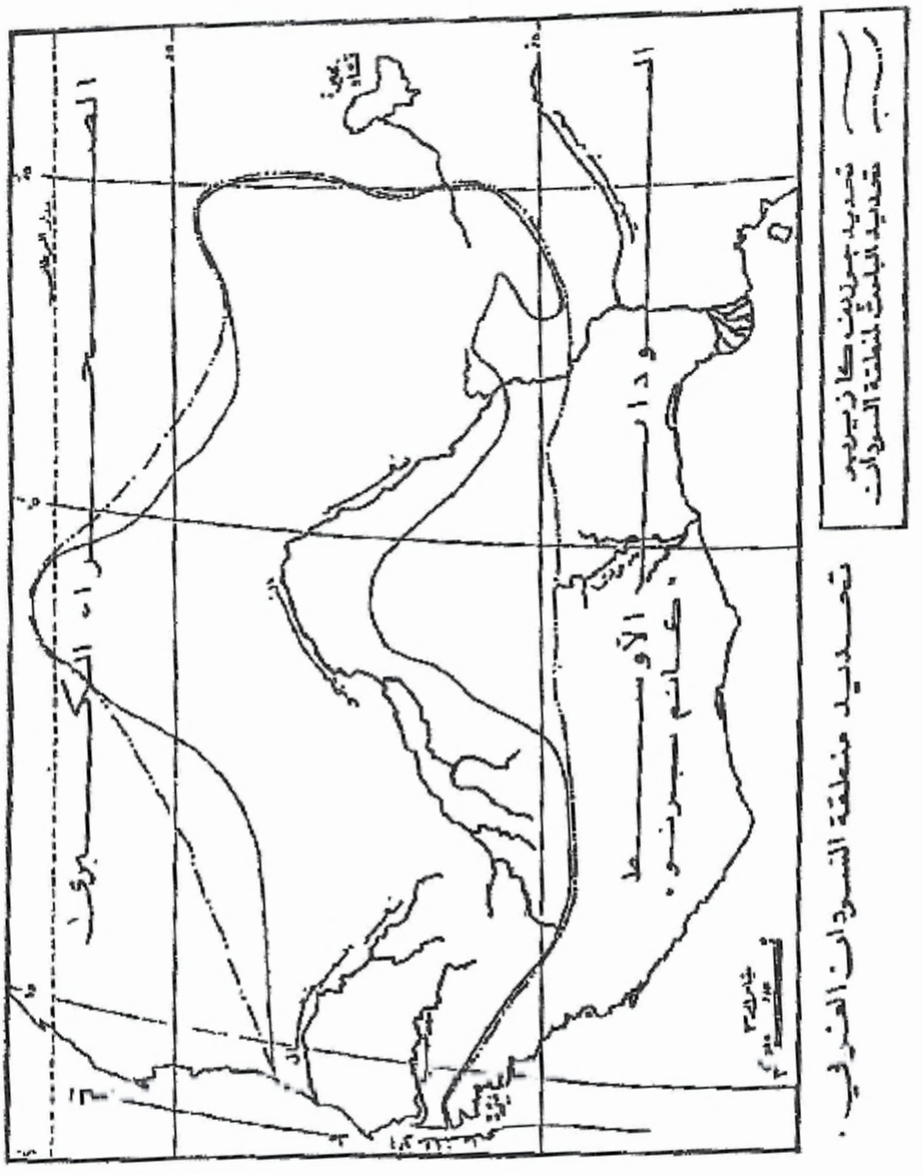

1

تحديد جوزيف كي زيربو لمنطقة السودان الغربي

[1] _الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 360 .

خريطة مملكة غانة الاسلامية

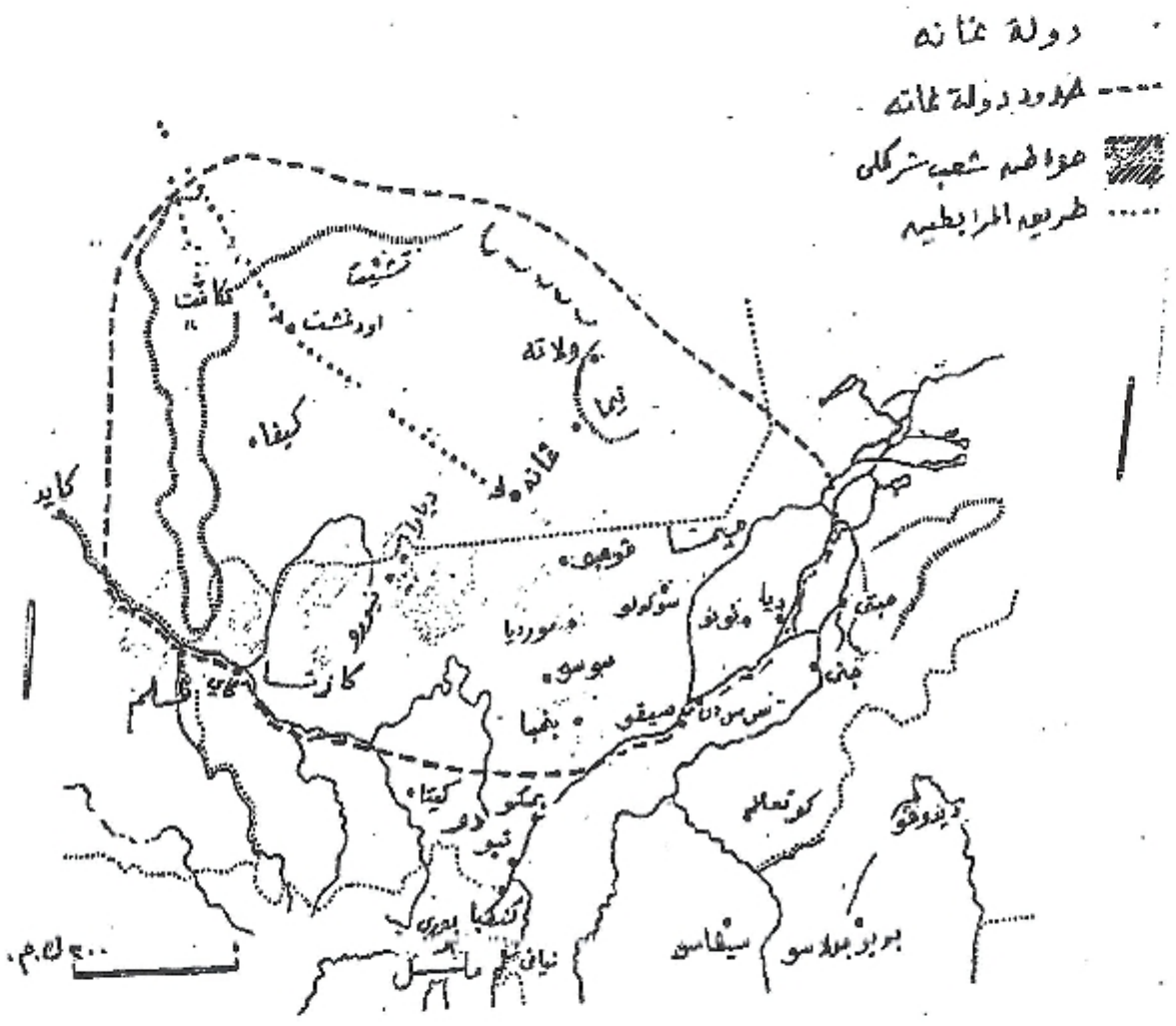

1

[1]_محمد ألفا جالو ، المرجع السابق ، ص 348 .

خريطة مملكة مل

منذ نشاتها الى نهاية القرن الثامن الهجرى

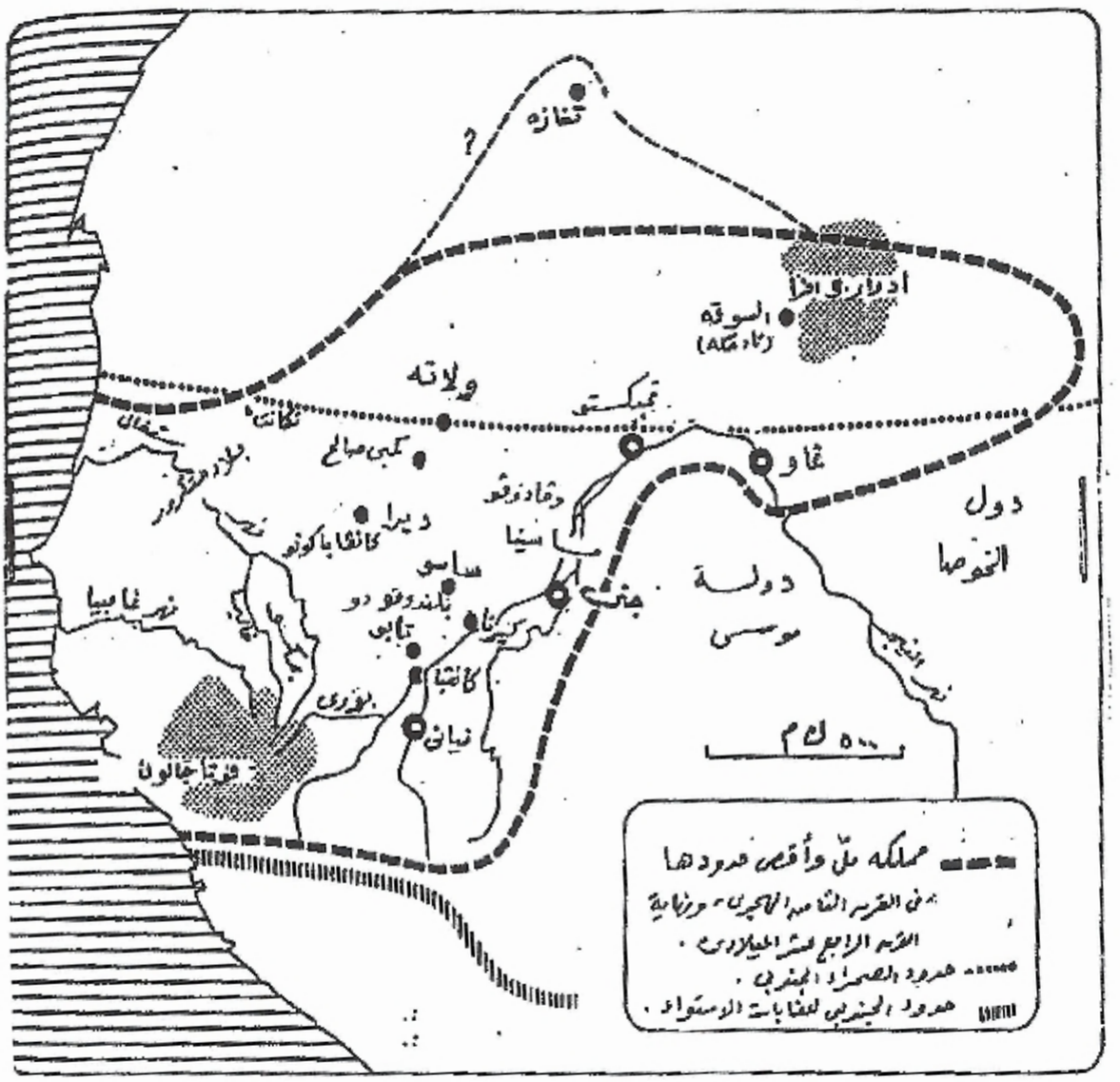

1

[1]_محمد ألفا جالو ، المرجع السابق ، ص 349 .

خريطة مملكة صنغاى

منذ نشأتها الى نهاية القرن العاشر الهجرى

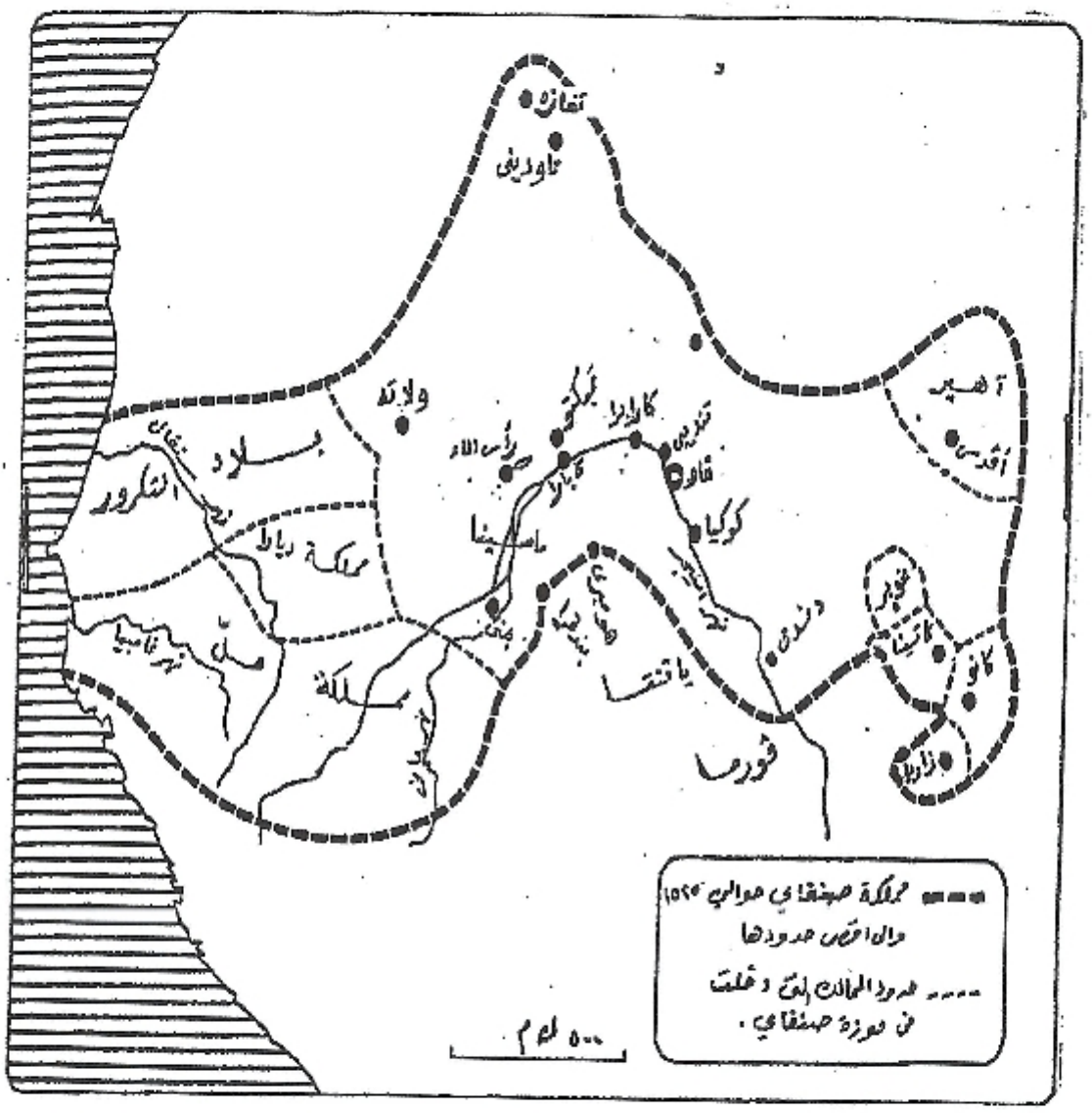

[1]

[1] _ محمد ألفا جالو ، المرجع السابق ، ص 350 .

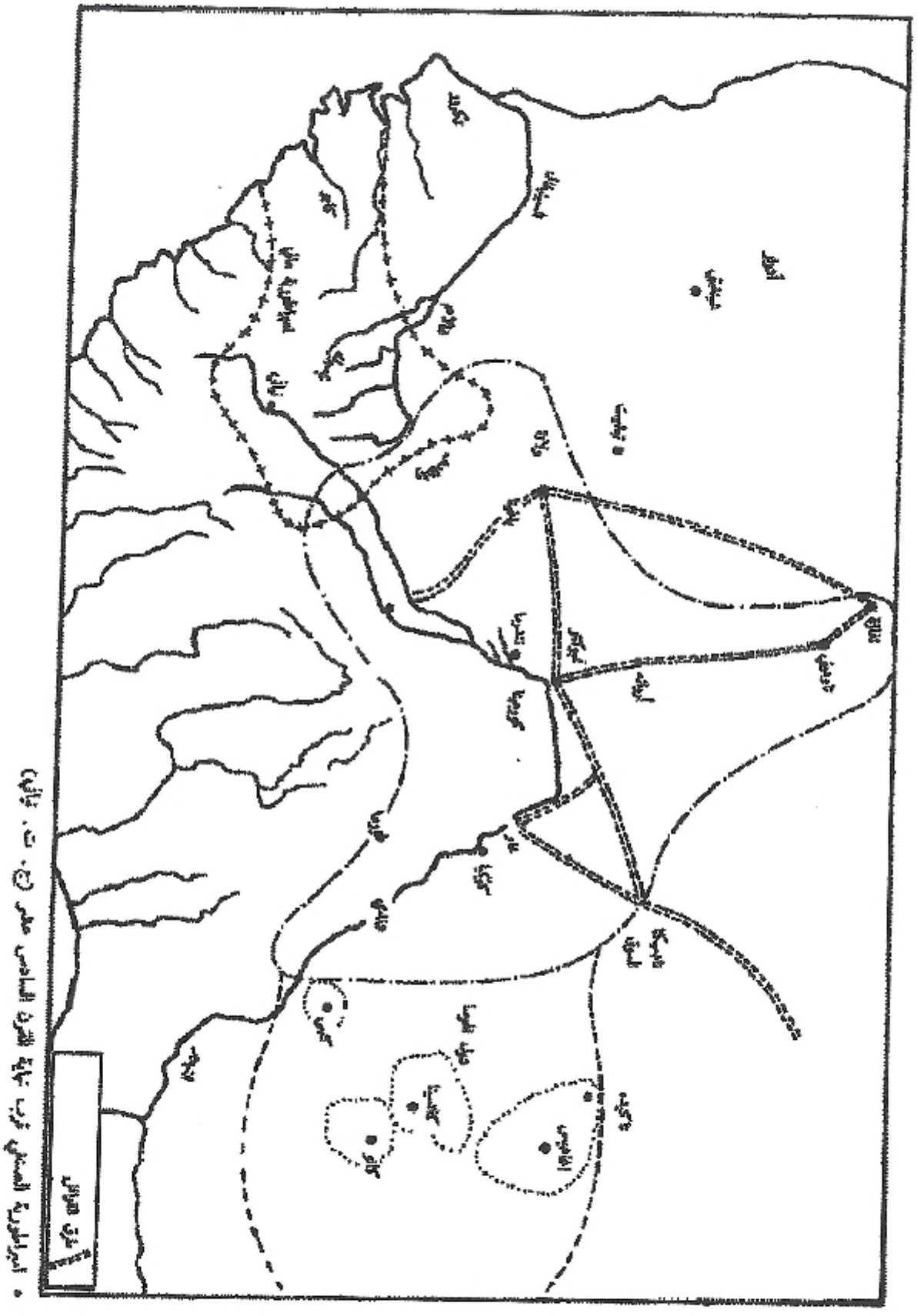

امبراطورية سنغاي قرب نهاية القرن السادس عشر [1]

[1] _ نيلي ج. ت ، المرجع السابق ، ص 205 .

احد مشاهد القبور المحفورة فى مدينة غاو

يرجع تاريخه الى عام ١١٠٠م

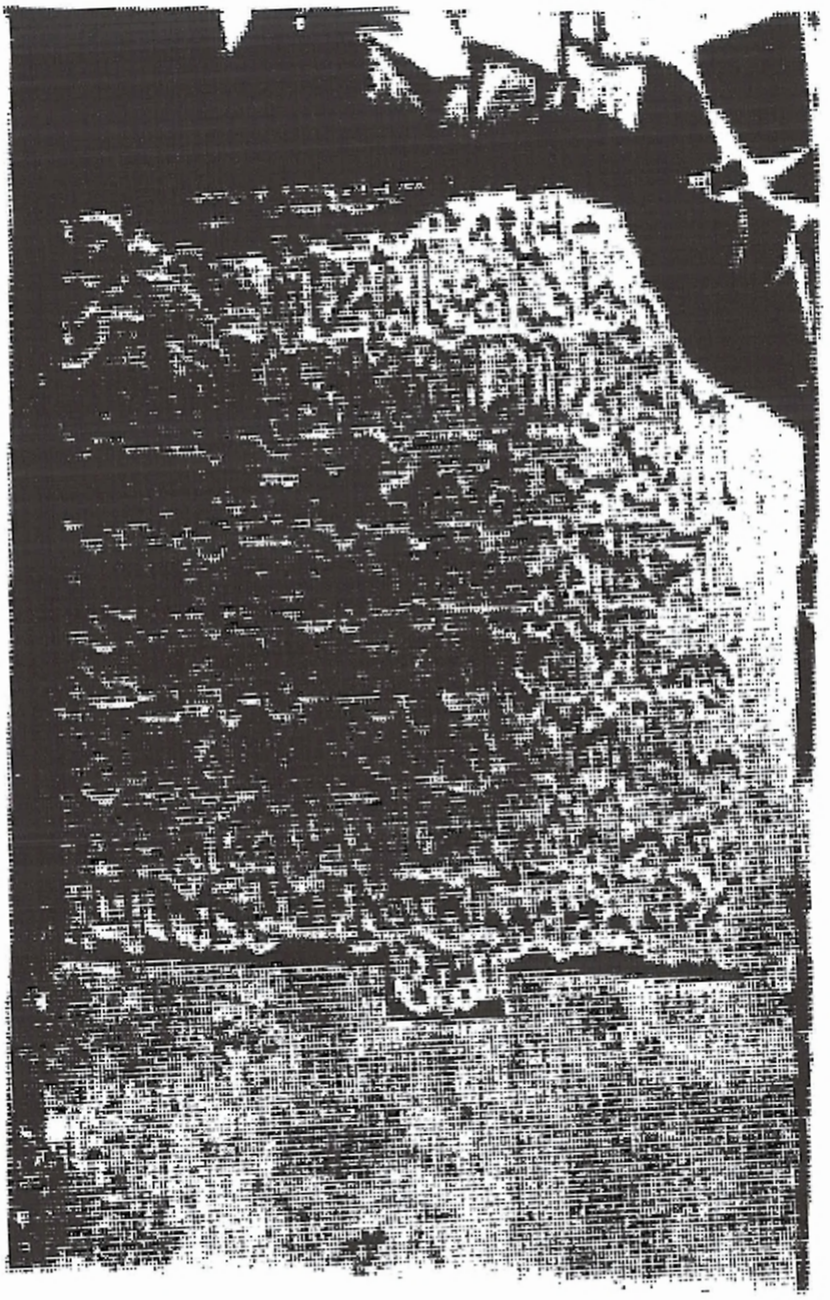

1

[1]_ نياني ج.ت ، المرجع السابق ، ص 201 .

مخطط مسجد سنكورى فى مدينة تمبكتو

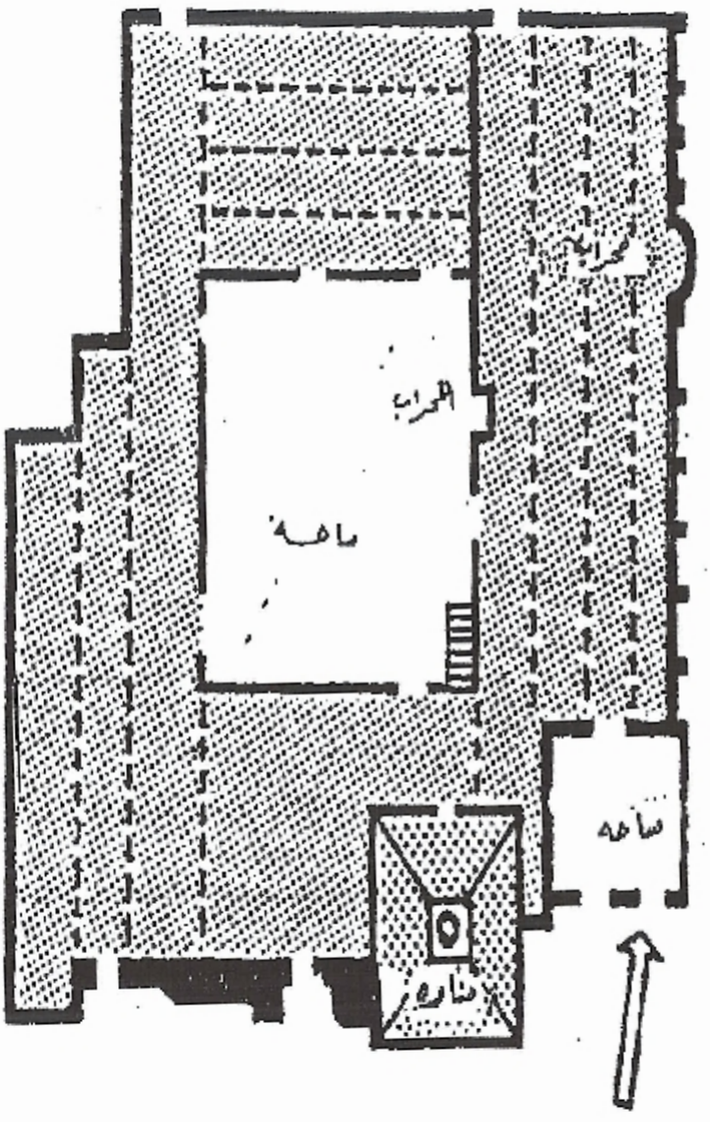

[1] _ محمد ألفا جالو ، المرجع السابق ، 343 .

نموذج من اشكال المساجد فى مدينة جنى

[1]_محمد ألفا جالو ، المرجع السابق ، ص 345 .

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

1- ابن بطوطة عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، تحفة الأنظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلته)، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،7 أجزاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961م، ج6.

3- الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، تحقيق: محمد الجابر الحين، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1351هـ-1961م.

4- البرتلي الولاتي أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1981م.

5- البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ.

6- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، جزئين، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ج1.

7- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله يقوت بن عبد الله، معجم البلدان،05 مجلدات، تحقيق: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ج4.

8- الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

9- السعدي عبد الرحمان بن عبد الله عمران بن عامر، تاريخ السودان، تحقيق: هوجاس، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، 1981م.

10- العمري ابن فضل الله شهاب الدين، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، 27 جزء، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010م، ج4.

11- القزويني زكرياء بن محمد ابن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار الطباعة والنشر، بيروت، 1969م.

12- القلقشندي أحمد بن علي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14جزء، القاهرة، دون تاريخ، ج5

13- المسعودي أبي حسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، إعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة المصرية بيروت، 1425 هـ-2005م، ج1.

14- المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق: عبد القادر زيادية، الجزائر العاصمة، دون تاريخ.

15- الوزان الحسن بن محمد (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، جزئين، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج2.

16- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، 3 أجزاء، أرصاد بيروت، دون تاريخ، ج1.

17- كعت محمود، التاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تحقيق: هواجس باريس، 1964م.

18- مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون، 3 أجزاء، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984م، ج3.

ب- المراجع بالعربية:

19- إسبر أمين، إفريقيا والعرب، دار الحقائق، بيروت، 1982م.

20- الآلوري أدم، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفولاني، ط3، 1398 هـ/1978م.

21- الآلوري أدم، موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

22- التكينك جميلة محمد، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير (1493-1528م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 1998م.

23- الجمل شوقي عطا الله، إبراهيم عبد الله الرزاق، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.

24- الدالي الهادي مبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1998م.

25- الشيخ عبد الرحمان عبد الله، دول الإسلام وحضارته في إفريقيا، دار اللواء، الرياض، 1983م.

26- الصاوي كامل محمد، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008.

27- الغنيمي عبد الفتاح، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مكتبة نهضة الشروق، جامعة القاهرة، 1985م

28- الفيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا، جنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام، منشورات قان تونس، بنغازي، ط1، 1998م.

29- أندرينه جوليان، تاريخ إفريقيا، ترجمة: عوض أباظا، دار النهضة، القاهرة، 1986م.

30- بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة ، الجزائر، 2001م.

31- بوليم دنيس، الحضارات الإفريقية، ترجمة: علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974م.

32- ج.ت.نياني، تاريخ إفريقيا من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر، تاريخ إفريقيا العام، 8 مجلدات، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، المجلد الرابع، 1988م.

33- جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، ط1، 1404 هـ/1984م.

34- حسن حسن إبراهيم، الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1984م.

35- دليل كتابة لغة سنغاي باللغة اللاتينية: Guide transcription et de lecture du sofay وزارة التربية الأساسية في مالي، بماكو، طبع D.N.A.F.L.A ، 1995م.

36- دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (1038-1121م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

37- زكي عبد الرحمان ، الاسلام و المسلمون في غرب افريقيا ، جزئين ، مطبعة يوسف ، الاسكندرية، 2001 م ، ج2.

38- زكي عبد الرحمان: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1961م.

39- زيادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

40- زيادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493-1591م)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.

41- سيسيكو سينسكي مودي، الصنغاي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، 8 أجزاء، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج4.

42- طرخان إبراهيم: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1390 هـ/1970م.

43- طرخان إبراهيم، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

44- عبد الحليم، رجب محمد، تاريخ المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء، شركة سفير، القاهرة، 1996م.

45- علي محمد مصطفى، الإسلام اليوم، جدول الحروف المفردة ضمن بحث: كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآني المنمط، منشورات إسيسكو، 1983م.

46- عوض الله الشيخ الأمين، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين مالي وسنغى، دار المجمع العلمي، جدة، ط1، 1979م.

47- فيج-جي-دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة: تقديم وتعليق السيد يوسف، مصر، دار المعارف، الإسكندرية، ط1، 1982م.

48- قداح نعيم ، افريقيا الغربية في ظل الاسلام ، مراجعة عمر الحكيم ، مكتبة اطلس ، دمشق ، 1960 م.

49- كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، شركة الطبع والنشر، الرباط، 1977م.

50- كي زيربو جوزيف، تاريخ إفريقيا السوداء من أمس إلى غد، 2 مجلدات، ترجمة: يوسف شلبي الشام، من منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1994م، ط1.

51- مؤنس حسين، الإسلام الفاتح، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، القاهرة، 1980م.

52- مايكور بما زكاري ويوبي كابو ويودي هادو وآخرون، الحضارة الإسلامية في النيجر، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إسيسكو، الرباط، مطبعة إليت، 1994م.

53- محمد محمد عوض، هر النيل، مكتبة النهضة المصرية، ط5، 1962م.

54- محمود حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة، 1962م.

55- ميغا أبو بكر إسماعيل،الحركة العلمية والثقافية الإسلامية في السودان الغربي،ط1، 1417هـ-1997م.

56-باري محمد فاضل علي، كريدية سعيد إبراهيم، المسلمون في غرب إفريقيا، تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م.

ج- المراجع بالفرنسية:

57- Barth Henri, voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale, VOL I, 1860.

58- Devidson, old africo, rediscovred, london ,1959.

59- Goiten, Studies in islamic history and institutions I Mlemis – islamic in tropical Africa , oxford , 1966.

60- Levtzion,N, the early states of the western sudan to1500 history of west africa, ed ajayi J.F.A, vol I ,Great Britain,1967.

61- Mauny, tableau deographique de l'ouest africain au moyen age, Dakar ,1961.

62- Prefontan lient, histoire de tomboucto de sa fondation a l'occupation fran-caise, paris,1942.

63- Saad-N-elias, Social history of tomboktu : the role of muslim scholars and notable1400-1900, cambridge, 1983.

64- trimingham J.S, A history of islam in west africa, oxford university press, london , 1967.

65 _ Humwick J.D , transaction of the historical journal of Ghana , vol 5 , 1964.

66-Dekeyser P.L et drivot, les oiseaux dc l'ouest africain, Dakar ,1966.

د/ المجلات (المقالات):

67- الحسن عبد القيوم عبد الحليم، "انتشار اللغة العربية في بلاد غربي إفريقيا عبر التاريخ"، **مجلة دراسات إفريقية**، العدد الأول، أفريل، 1985م.

68- محمود حسن أحمد، "دور العرب في نشر الحضارة في غرب إفريقيا"، **مجلة كلية الآداب**، القاهرة، العدد الخامس عشر، 1959م.

69- مراد حسين سيد عبد الله، "مملكة سنغاي"،**مجلة قراءات إفريقية**، العدد الثالث عشر، 2012م.

70- ميغا هارون المهدي، "تحريف دلالات الألقاب والوقوع في أخطاء تاريخية غرب إفريقيا"، **مجلة دراسات إفريقية**، العدد الخامس والأربعين، أفريل، 1985م.

هـ/ الموسوعات:

71-شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية(الإسلام و الدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن)، 10 أجزاء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1973م، ج6.

و/ الرسائل الجامعية:

72- جالو محمد ألفا، مذكرة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، الحياة العلمية في دولة صنغاي (خلال الفترة:842-1000هـ/1464-1591م) ،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1992-1993م.

الفهرس

فهرس المحتوى العام:

- إهداء.....
- شكر وعرفان.....
- مقدمة.....5-11
- تمهيد.....13-24

الفصل الأول: نشأة مملكة ســـنـــغـــاي

1-عائلة ضياء.....26-31

أ-أصل الأسرة وأول ملوكها. 26-29

ب- تأرجح سيطرة مالي على سنغاي. 30-31

2- الملك سني علي. 31-35

أ- التعريف بالملك سني علي. 32-33

ب- تنظيماته الإدارية وفتوحاته. 33-35

3- نهاية الملك سني علي. 36-41

أ- آراء المؤرخين حول شخصيته. 36-39

ب- وفاته. 39-41

الفصل الثاني:الاسكيا محمد الكبير ودوره في تطوير مملكة سنغاي

1-الاسكيا محمد الكبير (899 – 935 هـ/ 1493 – 1528م). 43-45

أ- التسمية والانتماء العرقي. 43-45

2- الحياة السياسية في عهد الاسكيا محمد الكبير. 45-52

أ-التنظيمات الإدارية. 45-48

ب- الجيش. 49-50

ت- القضاء. 50-52

3- الحياة الاقتصادية في عهد الاسكيا محمد الكبير. 52-60

أ- الزراعة والثروة الحيوانية. 52-55

ب- الصناعة. 56-57

ت- التجارة. 58-60

4- الحياة الثقافية في عهد الاسكيا محمد الكبير.....60-63

أ- دور الأسكيا محمد الكبير في ازدهار الحياة الثقافية 60-62

ب- أبرز رجال الفكر 62-63

الفصل الثالث: إنجازات الاسكيا محمد الكبير ونهايته

1-رحلة الأسكيا محمد الكبير إلى الحج 65-69

أ- التوجه إلى الأراضي المقدسة. 65-67

ب- تلقبه بأمير المؤمنين 67-68

ت- إلتقائه بجلال الدين السيوطي 68-69

2- فتوحاته.....70-75

أ- مدينة كاغ. .....

ب- غزوة زنفري. .....

ت- مملكة الموسي. .....

ث- إقليم مالي. .....

ج- بلدة برك. .....

ح- بلدة كنينوت ملي. .....

خ- بلدة باغن فرن. .....

د- غزوة لازار. .....

ذ - غزوة آقدز. .....

ر- بلدة غوبر. .....

3- نهاية الاسكيا محمد الكبير وخلفاؤه.....78-75

أ-إقصاؤه من الحكم و نفيه 76-75

ب- خلفاؤه. 78-76

-خاتمة. 85-85

الملاحق 99-87

- قائمة المصادر والمراجع. 107-101